الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

فرع: دراسات أدبية ميدان: اللغة والأدب العربي تخصص: أدب حديث ومعاصر

الموسومة بـــــ:

الأدب المقارن العربي في ضوء جمالية التلقي

من إعداد الطالبتين

- ✓ فتح الله دلال
- ✓ عدة حليمة

تحت إشراف الأستاذ الدكتور

- ✓ بوعزيزة علي

أعضاء اللجنة	الصفة
د. نهاري شريف	رئيسا
أ.د. بوعزيزة علي	مشرفا ومقررا
د. عطى الله الناصر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:
1441-1442ه/ 2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝﴾

"إني رأيت أنه لا يكتب انسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر" .

القاضي الفاضل

شكر وتقدير

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة تعود

إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين

قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد

لتبعث الأمة من جديد . . .

وقبل أن نمضي نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة . . .

" كن عالما ... فإن لم تستطع فكن متعلما، فإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم " .

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة . . .

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل . . .

وأخص بالتقدير والشكر . . .

الأستاذ الدكتور المشرف " **على بوعزيزة** "

واللجنة المشرفة التي تكبدت عناء القراءة

وكذلك نشكر كل من ساعد على اتمام هذا البحث وقدم لنا

العون ومد لنا يد المساعدة وزودنا بالمعلومات اللازمة لإتمام هذا البحث .

إهداء

أنا هنا بشيب أبي ودعاء أمي

إلى من أحببته بفطرتي قبل أن ألقاه، إلى من حصد الأشواك

عن دربي ليمهد لي طريق العلم،

إلى القمر الذي اهتديت بنوره في عتم الليالي

أبي حفظك الله وأطال في عمرك.

إلى من قلبها منابع الحب والحنان، إلى من حملتني وهنا

على وهن إلى بسمة الحب وسر الوجود إلى من حضنها

مساكن الأمن والآمان إلى من دعائها لنجاحي خير عنوان

أمي الحبيبة حفظها الله

إلى أخي سندي بعد أبي وقوتي ضلعي الثابت الذي لا يميل

إلى كل الأرواح الغالية إلى كل من نساهم قلمي

ولم ينساهم قلبي

إلى كل من علمني حرفا طوال مشوار الدراسي . . .

أساتذتي الكرم

دلال

اهداء

أهدي ثمرة جهدي الى من غمراني بل الحب والحنان

نور طريقي أمي الحبيبة وابي الغالي ، لاطالما كان دعائهما

عنواني دربي وبسمة املي التي لم تفارقني ولو للحظة ، فمهما ذكرت

فهذا لن يسد منبعكما الدافي اسال الله ان يمدهما بل صحة والعافية ،

والى سندي في حياتي اخوتي واعزهما من وافته المنية والو في

اعز شبابه وكانت امنيته ان انجح واصبح استاذة رحمة الله عليه والى قرة

عيني زوجي الحبيب الذي ساندني كثيرا لإتمام هذا العمل وإلى

عائلته الكريمة صغيرهم وكبيرهم وإلى كل صديقاتي وخاصة رفيقتي

في هذا البحث دلال أسأل الله ان يجازيها على مساعدتها لي

حليمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد بن عبد الله وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المخلصين ... وبعد

يعد الأدب المقارن من بين أكثر العلوم الإنسانية الحديثة أهمية، وأوسعها فائدة، كونه لونا من البحث الأدبي الذي يعنى بالعلاقات الأدبية الدولية، وهجرة الأفكار والأذواق والمبادلات المختلفة بين الأدب والفنون الجميلة، ومساهمته في زرع أسباب التآخي والتسامح بين الشعوب وتوطير العلاقات فيما بينها.

انتقل هذا الدرس إلى الوطن العربي في إطار عملية المثاقفة الكبرى بين الأدب الغربي والأدب العربي، وقد أحرز اهتماما بالغا على يد مجموعة من الباحثين: خليل هنداوي، عبد الوهاب عزام وفخري أبو السعود ... ودخل إلى الجامعات العربية، ونحن نأمل من خلال هذه الدراسة حول "الأدب العربي المقارن في ضوء جمالية التلقي" الاقتراب أكثر من مقومات هذا الدرس كونه يندرج في مجمل السعي النقدي العربي لقراءة الذات ومراجعة وعيها وخصوصية الأدب العربي المقارن المتأنية من إيجابيات واقعة وسلبيات معا وما أثاره مقارنون من إشكاليات أفرزتها سبل تعاملهم مع مناهج المقارنة الفرنسية والأمريكية والسلافية.

وهذا ما شكل دافعا للدراسة في أن نكرس جهدها لمعاينة المستوى النظري للأدب العربي المقارن فحسب، إذ يحتاج إنجاز ذلك إلى وقفة خاصة متأنية، لأن المستوى التطبيقي الذي لا يقل أهمية عن المستوى النظري يحتاج إلى بحث منفصل ووقت اطول ولعل ذلك ما نسعى إلى تحقيقه في المستقبل إنشاء الله.

وتتمثل الإشكالية المؤسسة لهذا البحث في كيف تلقى العرب الأدب المقارن؟ وعليه كيف أسس العرب لهذا العلم؟ وما مدى إسهام المدارس الغربية في تأسيس توجه عربي خاص بالأدب المقارن؟ هذه الأسئلة وأسئلة غيرها لا نستطيع حصرها، ومن الأسباب التي حفزتنا على الاهتمام

بهذا الموضوع هي الرغبة في المساهمة ولو باليسير في خدمة علم الأدب المقارن الذي حظيت مشكلاته وأسئلته اهتمامنا منذ سنوات.

وإضافة إلى الأسباب الشخصية، هناك أسباب موضوعية أسهمت بدورها في توجيه هذا الاهتمام تمثلت في القيمة الأساسية لهذا الموضوع وعدم وجود دراسات وأبحاث كثيرة عالجت هذا الموضوع، فبعد الدراسة الضخمة والأطروحة التي تقدم بها طالب الدكتوراه علي مجيد داود البديري إلى مجلس كلية الآداب بجامعة البصرة الموسومة بـ "الأدب العربي المقارن في ضوء جمالية التلقي"، الدراسات النظرية المقارنة أنموذجا سنة 2009، والتي حاول من خلالها ان يقدم صورة متكاملة لمدارس الأدب المقارن الثلاث ودور السياق الثقافي في ظهور هذه الاتجاهات وأثره في توجيه رؤية المقارنة وكان لهذا النسق السائد في الوسط الثقافي أثر كبير في شكل واقع التلقي النقدي العربي لنظرية الأدب المقارن.

ومن خلال هذه الملاحظات تتضح الصعوبات التي تحيط بدراسة هذا الموضوع، ومن أهمها:

1. يحتاج مثل هذا الموضوع إلى القيام بعمل أساسي وشاق في نفس الوقت، ألا وهو عملية التجميع لمختلف البحوث المنجزة في مجال الأدب المقارن واقتضت منا هذه الخطوة جمع مراجع مختلفة موزعة ما بين الكتب والمقالات ورسائل الماجستير والدكتوراه أهمها كتاب الدكتور محمد غنيمي هلال الموسوم بالأدب المقارن والدكتور خليل هنداوي "انشغال العرب بالأدب المقارن" وعبده عبود "الأدب المقارن مشكلات وأفاق والجدير بالذكر أيضا مقالة محمد عباسة بعنوان المدرسة العربية في الأدب المقارن.

تبع هذا العمل، عمل آخر وهو قراءة المادة المجمعة، وتصنيفها واختيار ما يتلاءم منها وطبيعة هذا البحث وأبحاث، وهذا العمل تطلب دون شك جهدا ووقتا كبيرين، إضافة إلى كونها خطوة يشوبها الكثير من الحذر لأن العديد من الدراسات تدعي الانتماء إلى مجال الدراسات المقارنة، في حيث أنها لا تكاد تعدو أن تكون دراسات تحليلية نقدية لا تتطابق ومناهج البحث في

مجال الأدب المقارن، مما يوقعنا في مجال تداخل الاختصاصات ناهيك عن التداخل الحاصل بين الحقول الأدبية المقارنة.

وأما الصعوبات كان من المفروض تحديد خطة للعمل تخص نواحي مختلفة من هذا البحث، فجاءت الدراسة موزعة على مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

حاول الفصل الأول الذي عنوانه "الأدب المقارن" أن يقدم صورة متكاملة تشمل كل من مفهومه وأهميته البالغة، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى مدارس الأدب المقارن، وتناولنا في هذه المحطة الظروف التي كانت وراء نشأتهم، وعرضنا في ذلك لمختلف تعريفات روادها وشرح منهجهم، متجنبين التكرار والإطالة في العرض، ونحن لا ترجوا أننا استطعنا أن نحصر جميع المدارس الغربية لهذا العلم الذي استقطب اهتمام النقاد والباحثين أينما حل وفي جميع أقطار العالم.

وحاول الفصل الثاني الذي حمل عنوان "تلقي العرب الأدب المقارن"، أن يقدم واقع الأدب المقارن في الوطن العربي، وقد أملت علينا الضرورة والمنهجية أن تقتفي أثر هذا العلم الأجنبي منذ حلوله في وطننا على يد الدارسين الأوائل، والذي يؤرخ لهم غنيمي هلال رائد التأسيس، إلا أننا ارتأينا أن نعرج أيضا على المحطات السابقة التي نضمت بعض بوادر نشأة هذا العلم في البلاد العربية على يد أقطاب الأدب العربي مثل "روجي الخالدي" و"خليل هنداوي" ... وغيرهم.

وتطرقنا بعدها إلى واقع التلقي العربية لنظرية الأدب المقارن لكل من المدرسة الفرنسية والأمريكية والسلافية، تجلى هذا التلقي تحت نمطين مختلفين هما: التلقي المطابق، والتلقي المغاير، لكل نمط مطلب خاص، درس الأول التلقي المطابق لرؤية المدرسة الفرنسية بعد التوقف عند بدايات المقارنة في الأدب العربي الحديث وهيمنة وتأثيره على الدراسات النظرية التي تلته، مع التوقف عند محاولات قليلة لكسر سلطة النموذج، تجسد فيما أسماه المطلب بـــ "إنكسار النموذج"، حيث نوقشت الدعوات العربية لتأسيس رؤية عربية في الأدب المقارن.

ثم توقف الفصل بعد ذلك دارسا بشكل متأن على محالة بعض النقاد العرب في تطوير منهج المقارنة أو استحداث رؤية بديلة عن السابق السائد من الرؤى، ثم ينتهي البحث إلى بلورة نتائج جرى عرضها باختصار في الخاتمة.

اقتضى انجاز هذا البحث، اللجوء إلى عدد من المناهج باعتبار أن موضوعا بهذه الشساعة والتنوع يفرض علينا عددا من المناهج لا منهج واحد، وذلك لأن نظاهره المختلفة لا يمكن الوصول على تحديدها وفهمها إلا مع الاستعانة بعدد من المناهج. مثل المنهج التاريخي الذي أسعفنا في رسم خريطة الأدب المقارن من خلال التأريخ لنشأة هذا العلم بأوروبا ورحلة انتقاله إلى مختلف البلاد الغربية حتى وصل إلى الوطن العربي واستقر به وتأصل واستطاع أن يضع لنفسه مكانة متميزة بفضل جهود رواده الأوائل.

المنهج المقارن الذي استفدنا منه بصورة عملية في إطار المقارنة بين مدارس الأدب المقارن عربيا وعالميا، ومن الوقوف على جديد الدرس المقارن.

في الختام أرجوا أن يكون البحث قد وفق في تقديم قراءة لطبيعة استقبال الأدب المقارن عند العرب، حاولنا قدر الإمكان ان نقف على الإشكالات التي تبحث عن التباين في مواقف المقارنين العرب من النظرية الوافدة وما طرأ من تحولات نوعية، وما كان لهذه المحاولة أن تبلغ ما بلغته لولا عناية الله تبارك وتعالى أولا، وحرص الأستاذ **الدكتور بوعزيزة علي** على متابعتها والإشراف عليها وتقويمها على الرغم من مسؤولياته، فله جزيل الشكر والتقدير والامتنان.

والحمد لله رب العالمين، فهو سبحانه من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

مدخل

جمالية التلقي (المفهوم والنشأة)

تعد نظرية التلقي واحدة من أهم المناهج النقدية الحديثة في دراسة الأدب، وقد استطاعت على الرغم من حداثتها أن تفرض نفسها في تاريخ الفكر الأدبي وتحتل مكانة متميزة في المناهج النقدية، لقد جاءت هذه النظرية لكي تؤسس بعدا جماليا الذي يتمثل في قراءة النص الأدبي من خلال إضافة عناصر جديدة لمكونات العملية الإبداعية، والكشف عن أمور جوهرية عند تفسير وتأويل النص من خلال تركيزها على محور أساسي ألا وهو القارئ.

وليس اعتباطا ان تبرز أهمية القارء في هذه المرحلة التاريخية، إذ أن النظرية الأدبية حاولت على مر العصور ان تركز اهتمامها على عنصرين فقط من عناصر العملية الفنية، هما: المؤلف والنص.

حتى جاءت مرحلة القارئ وتتجسد فيما يسمى باتجاهات ما بعد البنيوية ومنها السيميائية، التفكيكية ونظرية التلقي، لعل القارئ يستطيع تلخيص هذه الميزة الحافلة في ثلاث لحظات كما تقول بشرى موسى "وبذلك نجد أن العمر المنهجي الحديث ينطوي على ثلاث لحظات: لحظة المؤلف، وتمثلت في نقد القرن التاسع عشر التاريخي، والنفسي، والاجتماعي... ثم لحظة النص التي جسدها النقد البنائي، في الستينات من هذا القرن، وأخيرا لحظة القارئ أو المتلقي كما في اتجاهات ما بعد البنيوية، ولا سيما نظرية التلقي في التسعينات منه".[1]

وثم يقتصر الأمر على الأبعاد النظرية والاصطلاحية فقد أوجدت اتجاهات ما بعد البنيوية بدائل إجرائية يتضح فيها دور المتلقي في بناء المعنى وإعادة انتاجه خاصة نظرية التلقي، فقد "فسحت المجال أمام الذات المتلقية للدخول في فضاء التحليل، واعادة الاعتبار للقراء احد أبرز عناصر الارسال أو التخاطب الأدبي".[2]

---

[1]- بشرى موسى صالح: نظرية التلقي، أصول وتطبيقات، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، 2001، ص 32.

[2]- المرجع نفسه، ص 33.

1. المصطلح ودلالته

لعل أول ما يستدعي الانتباه هو ذلك المصطلح المستخدم عنوانا لهذه النظرية La théorie de la réceptionأي نظرية التلقي أو نظرية الاستقبال.

أ. **التلقي لغة:** جاء في لسان العرب: "فلان يتلقى فلان أي يستقبله"[1]

ويقال في العربية "تلقاه أي استقبله، والتلقي هو الاستقبال كما ذكره الأزهري"[2]

ويقال في الانجليزية: « Réception » أي تلق، ويقال: « Réceptive » أي متلق أو مستقبل

لكن التمايز في الدلالة بين مفهوم الاستقبال ومفهوم التلقي، يمكن في طبيعة الاستعمال عند العرب وفي مجرى الإلف والعادة بالنية الأذن الجنبية، فالكثير الغالب في الاستعمال العربية هو استخدام مادة "المتلقي" بمشتقاتها مضافة غلى النص سواء أكان خبرا أم حديثا أم شعرا وحسبنا في هذا أن القرآن الكريم اعتمد مادة "التلقي" في أنساقه التعبيرية و لم يستخرج مادة "الاستقبال"، ففي أجل مواطن التلقي لأشرف النصوص يقول عز وجل: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة، الآية 37]

فدلالة الاستعمال القرائي لمادة التلقي مع النص شبه إلى ما قد يكون لهذه المادة من إيحاءات وإشارات إلى عملية التفاعل النفسي والذهني مع النص، حيث لفظة التلقي مرادفة أحيانا لمعنى الفهم والفطنة ومن مسألة لم تغب عن بعض المفسرين، و لم تتغب كذلك عن أدبائنا ورواد التراث النقدي.

---

[1] – جمال الدين أبو الفضل محمد بن منظور: لسان العرب، ج8، مادة (ق)، تج: عامر أحمد حيدر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 685.

[2] – أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تعذيب اللغة، مج 07، (باب القاف واللام)، تج: أحمد عبد الرحمان مخيمر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص 276.

أما إذا رجعت إلى المعاجم الألمانية الحديثة، فإننا نجد فيها كلمة التلقي ومصطلح التلقي في آن واحد. "وهكذا يمكن الرجوع إلى المعجم الألماني لسنة 1989 لنجده يذكر الدلالة اللغوية العامة للكلمة التي تفيد الاستقبال، كما نجد فيه كل مواصفات مصطلح التلقي مع الإشارة إلى مصطلحي جمالية التلقي وتاريخ التلقي، ولعل في هذا ما يشير إلى تداول المصطلحين في اللغة الألمانية وفي حقلها المعرفي العام".[1]

ب. **التلقي اصطلاحا**: يدخل هذا المصطلح تحت صفة النظرية، أي نظرية التلقي وهي: "مجموعة من المبادئ والأسس النظرية التي شاعت في ألمانيا منذ منتصف السبعينات على يد مدرسة كونستاش، تهدف إلى الثورة ضد البنيوية والوصفية وإعطاء الدور الجوهري في العملية النقدية للقارئ، باعتبار أن العمل الأدبي منشأ حوار مستمر مع القارئ.[2]

من هنا كان مصطلح التلقي أو تلقي النص يتتبع اهتمام بالقارئ وبتحديد معنى النص وتأويله والوصول على نتائج يكون القارء أو هويته هما محورها.

2. تاريخ ظهور نظرية التلقي:

نشات نظرية التلقي مع نهاية الستينات من القرن العشرين لحوالي سنة 1967م بالمانيا الغربية، وبالأخص في "جامعة كوستانس Université Constance" وأهم روادها الأستاذان ذات **هانز روبـــرت ياوس Hans Robert Jauss**، **فو لفغانغ إيرز Wolf Gang Lzer** وتركز اهتمامها على القارئ ونجعل منه محور العملية النقدية.

---

[1] - أحمد أبو حسن: في المناهج النقدية المعاصرة، ط1، مكتبة دار الأمات للنشر والتوزيع، الرباط، 2004، ص 25.

[2] - سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، ط1، دار الأفاق العربية، مدينة نصر، 2001، ص 145.

هذا الاهتمام البارز بهذا القطب جعلها تتمتع ببعض المرونة والانسيابية في التعامل مع النصوص الأدبية.[1]

أما في ما يخص عوامل نشأة هذه النظرية فهي ليست فقط مجرد إعادة الاعتبار لعنصر القارئ، بل الأمر اعمق وابعد من هذا التصوير بكثير ويتعدى البواعث الأدبية، فقد يكون ضورة في الحديث عن مفهوم نظرية التلقي: "نؤكد أن الفكر النقدي الحديث في المجتمع الغربي ليس فكرا خالصا للأدب، بل تتداخل في مفاهيمه لجوانب الأدبية والمنازع الفكرية والمذهبية بصورة معقدة يصعب معها ان تتعامل مع النظرية النقدية بمنظور أدهى مجرد عن بواعثه وترعاية الفكرية المعاصرة".[2]

وتتميز نظرية التلقي عن غيرها، في أن مفهومها السياسي والفكري الذي صاحبها منذ نشأتها مرتبط بالصراع الذي واجهته ألمانيا الغربية مع النظام الماركسي الذي كان مهيمنا على تفكير ألمانيا الشرقية، والذي يهتم بمنجز العمل "المبدع" اكثر من اهتمامه بمستهلك هذا المنتوج "القارئ".

لقد أغلقت نظرية التلقي دور صاحب النص المبدع، بمعنى أن دراسة أحواله التقنية وظروفه الاجتماعية ليست أمرا ضروريا يعتمد عليه في التعامل مع النص فالنظرية تشير إلى تحول هام من صاحب النتاج إلى النص والقارئ لأنها "حركة تصحيح لزاويا انحراف الفكر النقدي لتعود به إلى قيمة النص وأهمية القارئ ... ومن هنا كان التركيز في مفهوم الاستقبال على محورين فقط هما على الترتيب القارئ والنص ...[3]

---

[1]- ينظر: روبرت سي هولب: نظرية الاستقبال، مقدمة نقدية، تر: رعد عبد الجليل جواد، د.ط، دار الحواز للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1992، ص 24.

[2]- محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص جماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، دراسة مقارنة، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1996، ص 16.

[3]- المرجع نفسه، ص 17.

أما عن كيف أصبحت نظرية التلقي هي النظرية التي هيمنت على الساحة النقدية خلال النصف الثاني من العقد السابع من هذا القرن، فإنما تعود إلى دراسة "لياوس" أحد رواد النظرية بجامعة كوستاينس بعنوان "التغير في نموذج الثقافة الأدبية" عام 1969، ألم فيها بالخطوط الأساسية للمناهج الأدبية، ودعا لظهور نظرية تكون بمثابة منهج جديد لإعادة النظر في القواعد القديمة وإعادة تقويم الماضي، فضلا على ما ادعته لنفسها من قدرة على التعامل مع الأعمال الأدبية المحدثة.[1]

بمعنى أن هذه النظرية لم تقتصر على فعالية القارئ فقط بل فتحت أفقا جديدة، في مجال التأويل ولم تعد غاية دراسة الأدب هي المعرفة فحسب، بل معرفة طرائق المعرفة وامكانيتها وممكناتها، حيث تخوض جمالية التلقي تجربتها انطلاقا من مقاهيم الانتاج والاستهلاك والتواصل، إذ تحاول أن تستشهد النتائج المحصل عليها تاريخيا في نقل النقد الأدبي.

وبهذا فهي تستنجد في ألية قراءتها على مفاهيم الذوق والجمال والتأويل أثناء التعامل مع النص من قبل القارئ ولذلك تحاول جمالية التلقي تحديد التواصل الأدبي بين النص ومتلقيه، حيث يتم التحاور والتفاعل بين فاعل حاضر وخطاب ماضي.

[1]– روبت هولب: نظرية التلقي، مقدمة نقدية: تر: عز الدين اسماعيل، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2000، ص 10.

الفصل الأول:

الأدب المقارن

1) مفهوم ومصطلح وأهمية وأهداف الأدب المقارن.

2) مجالات الأدب المقارن.

3) مدارس الأدب المقارن.

توطئة:

لقد كثر الخطا في تحديد مفهوم الادب المقارن عندنا حتى اليوم ،وفي نشاته عن الأمن من كان سبب في تعثر الدراسة فيه وتنفير كثير من الدارسين منه وتضليل الباحثين في جدوى اذا نرى من الضروري ان نبدا تعريفه وابرز معالمه

1. مفهوم ومصطلح وأهمية وأهداف الأدب المقارن.

1-1) مفهوم ومصطلح الأدب المقارن:

الأدب المقارن مفهوم حديث به صار علما من علوم الأدب وأخطرها شأنا وأعظمها جدوى ولقد كثرت التعريفات حول هذا المصطلح وكذا نشأته مما كان سبب في تعثر الدراسة فيه لذا وجب الفصل في مفهومه وتحديد معالمه.

أ) مفهوم الأدب المقارن عند الغرب:

تعددت مدلولات الأدب المقارن وتنوعت من باحث الى آخر حيث عرفه باحثو الغرب أمثال فان تيج حيث أطلق عليه أنه ذلك العلم من بين العلوم الأدبية الحديثة المبتكرة في العصر الحديث وقال كذلك أنه دراسة اللمسات المشتركة لعدة آداب، سواء كانت بينها مشتركات أو توارد، فمهمة المقارن هي تقرير التشابهات والاختلالات بين كتابين أو نصين أو موضوعين من لغتين أو أكثر[1] فبهذا التعريف قد حصر الأدب المقارن في العلاقات الثنائية .

أما هنري ياجو فعرفه بأنه الفن المنهجي الذي يبحث في علاقات التشابه والتقارب والتأثير وتقريب الأدب من مجالات التعبير والمعرفة الأخرى أو أيضا الوقائع والنصوص الأدبية فيما بينها، المتباعدة في الزمان والمكان أو التقارب شرط أن تعود إلى لغات أو ثقافات مختلفة تشكل جزء من التراث الواحد من أجل وصفها بصورة أفضل.

[1]- رينيه ويلك: مفاهيم نقدية: تر: محمد عصفور، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، سلسلة علم المعرفة، رقم 110، الكويت، 1987، ص 298

ب)مفهوم الأدب المقارن عند العرب:

لقد عرفه الدكتور غنيمي هلال في كتابه حيث قال " مدلول الأدب المقارن تاريخي ذلك لأنه مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها الكثيرة والمعقـــدة، في حاضـــرها أو في ماضيها وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير وتأثر أيا كانت مظاهر ذلك التأثر أو التأثير"[1] في حين نجد ريمون طحان يعرفه على أنه دراسات تهتم بالعلاقات التي تقوم بين أدب معين كتب بلغة قومية معينة وبين أدب آخر.

1-2) إشكالية المصطلح:

إن مصطلح الأدب المقارن من بين المصطلحات الشائعة التي قام بدراستها كل من العرب والغرب الذين لاحظوا أن هذا المصطلح ناقص لأنه غامض لكنه ضروري لاستخدامه منذ قرن من الزمان، حيث لم يستطع إبداله بتعريف آخر ولكنه هذه الرؤية كشف عنها كثير مـــن البـــاحثين المقارنين الذين أحسوا بنقص تعبير المصطلح عن هذا العالم، إذ وجب تسميته التـــاريخ المقـــارن الأدب أو تاريخ الأدب المقارن لكنه سمي الأدب المقارن وهي تسمية ناقصة لكن اجازها ســـهل فقبلت على كل تسمية[2]، يمكن أن نطلق على هذا العلم، أما كلمة المقارنة استعملت على وجـــه التقريب في ذات الوقت الذي استعملت فيه في علم اللغات وعلم الإنسان وعلم الحيوان وتحـــت تأثير أفكار وأراء واحدة.[3]

1-3) أهمية الأدب المقارن:

لا تقف أهمية الأدب المقارن عند حدود دراسة العلاقات التاريخية بـــين الآداب ببعضـــها البعض وتأثر الآداب ببعضها البعض بل يكشف لنا عن العبارات الفكرية والأجنـــاس والقضـــايا

[1]- غنيمي هلال: دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، ص 16

[2]- كلود بيشو: اندرية روسو، الأدب المقارن، تر: رجاء عبد المنعم جبر، ط1، دار العروبة، الكويت، 1980، ص29

[3]- بول فان تيغم: الأدب المقارن، دار الفكر العربي، د.ت، ص 19.

الإنسانية فيزداد من ثم التفاهم والتقارب بين الشعوب بمعرفة عادات وطرائق تفكيرهـــا وأصـــالها الوطنية والقومية.

فقد تناول الدكتور عبده عبود في كتابه مطلع الأدب المقارن مشكلات وأفاق عن أهميـــة الأدب المقارن وهذا ان دل على شيء فإما يدل أهميته البالغة .

في محاولة لتوضيح أهمية الأدب المقارن بالنسبة للوطن العربي يلاحظ الدكتور هـــلال أن "تزايد الاهتمام بالدراسات المقارنة في الجامعات العربية منذ مطلع الستينيات يدل على دلالة قاطعة على أننا بدأنا نستجيب إلى نداء الوعي القومي العربي الحديث"[1]، الذي لم يكن أقوى من ما هـــو عليه اليوم وقد أخذ يبحث عن تسمية ميادين الحياة العلمية والفنية عما يدعمـــه فأهميـــة الأدب المقارن تنبع إذا في رأي الدكتور هلال بالطبع من هذا العلم يدعم وعينا القومي ويغذي شخصيتنا القومية ذلك هو الشق الأول من رسالة الأدب المقارن كما يراها هلال أما الشق الثاني من تلـــك الرسالة فيتمثل في الكشف عن أصالة الروح القومية في صلتها بالروح الإنسانية العامة وذلك لأن تقويم الأدب القومي تقويما سليما هو أمر غير ممكن الا بالنظر اليه في نســـبته الى التـــراث الأدب الانساني جملة.

ولكن إذا دققنا في هذا القول نجد أن ما يدعوه الدكتور هلال رسالة انسانية وهو في واقع الأمر رسالة قومية فالكشف عن أصالة الروح القومية هو غاية تساوي بين القـــومي والإنســـاني واعتبرنا الكلمة الأولى مرادفة للأولى وأن الرسالة الإنسانية التي يتحدث عنها لا تتعـــدى كونهـــا وسيلة تقدم الرسالة القومية بالإضافة إلى ما ذكرناه فإن الأدب المقارن أو الدراسة المقارنة فهي تميز بين ما هو أصيل وما هو أجنبي دخيل من التيارات الفكرية، حيث تزيد في إثراء الأدب القومي من خلال الاطلاع على الآداب الأجنبية، فتخلق التفاهم والتقارب بين الشعوب والأمم لمعرفة عاداتها

[1]- عبده عبود: الأدب المقارن مشكلات وأفاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1999، ص 08.

وطرائق تفكيرها، فالأدب المقارب جسر للحوار بين مختلف الثقافات من خلال ايجاد مواطن التأثير والــتأثر.

1-4) أهداف الأدب المقارن:

تتجلى أهداف الأدب المقارن بتحرير الفكر الانساني وافساح المجال للقارئ بــأن يتبحــر ويتعمق في فهم الأعمال الأدبية من خلال بيان أوجه التقارب والالتقاء في ما بينها مهمــا بلــغ تنوعها ومصدرها وذلك باعتبار تلك الأعمال نتاجا للفكر الإنساني عبر العصور والأزمنة .

ومن جملة الأهداف نذكر:

- صقل مهارة القراءة وتمكين القارئ من دراسة الأدب بمرونة متجاوزا حدود الزمان والمكان .
- التعرف على الجوانب التي أثر وتأثر بها الأدب والأدباء على مختلف انتماءاتهم وعاداتهم وتقاليدهم.
- السعي للتغلب على التقسيمات والتمييز العنصري ولا سيما الانقسام بين الشرق والغرب .
- اكتشاف العلاقة بين الأدب والتاريخ والفلسفة والسياسة والنظريات الأدبية وغيرها.
- تسليط الضوء على الترجمة ودورها في ايصال ثقافة بلد معين الى آخر.
- ادراك وفهم أهمية التنوع والاختلاف واحترام مبدأ التعددية .
- تعزيز التفكير النقدي ومهارات الكتابة الأدبية وفهم التقيدات الموجودة بيت اختلافات الثقافات واحتوائها
- هدف إنساني: زرع روح التآخي والمحبة والوئام والتسامح والحوار بين مختلف الشعوب.
- هدف خاص: يتمثل في وقوف المقارن على نصيب الأصالة من الاقتباس في كل أدب مدروس حتى يعطي كل ذي حق حقه محددا صاحب الفكرة كما يساعد الأدب القومي على الانفتاح والاحتكاك بالآداب الأخرى لتحقيق النجاح.

- هدف عام: فيتمثل في الدراسات الحديثة التي تسعى الى تحقيق الأدب العالمي الذي جاء به " غوتة ".[1]

2. مجالات الأدب المقارن

لكل علم من العلوم وفن من الفنون مجالات يبحث فيها حتى يكـــون علمـــا مكـــتملا، فللأدب المقارن مجالات وميادين خاصة به يمكن الغوص فيها على اختلافها وتعددها من أجنـــاس موضوعات أساطير[2]، ومن المجالات التي يبحث فيها الأدب المقارن ما يلي:

2-1) الأجناس الأدبية:

تعددت وتنوعت الأجناس الأدبية ونقصد بهذه الأخيرة " القوالب الفنية العامة التي تفرض على الشعراء والكتاب مجموعة من القواعد الخاصة بكل قالب على حدة، فقد يعالج موضوع واحد في قصيدة غنائية وفي قصة وفي مسرحية وفي مقالة أو في خطبة".[3]

في حين تختلف طريقة معالجة كل جنس على حدة وأخذ هذا التعبير يســـتقل في النقـــد الإنجليزي والأمريكي في أوائل القرن العشرين فأصبح أكثر استعمالا بين الإنجليـــز والأمـــريكيين فأطلقوا عليه الأغراض الأدبية خاصة الذين كانت ثقافتهم إنجليزية فالتبس عليهم الأمر الأغـــراض تطلق على أنواع القصائد في النقد العربي القديم.

أ) الخرافة والقصة على لسان الحيوان:

- **القصة:** يذهب كثير من الأدباء والنقاد إلى أن القصة فـــن أســـتحدث في الأدب العـــربي المعاصر نتيجة الاتصال بالنهضة الحديثة وهذا يترتب عليه مقولة خطيرة مؤداها أن الأدب العربي يخلو أو يكاد من القصة.

---

[1]- بوعزيزة علي: محاضرات أدب مقارن، سنة أولى ماستر 2020

[2]- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، مطبعة مخيمر، القاهرة، 1953، ص 96

[3]- المرجع نفسه، ص 42

وأصحاب هذا الرأي يردون دعاوي المستشرقين من أمثال "جب" الذي يقول عن القصة في الأدب العربي، لقد حاول بهثر الكتاب العرب أثبتوا أن القصة العربية ترجع في أصلها إلى الأدب العربي القديم ولكن كل محاولة من هذا القبيل لا بد أن تبوء بالإخفاق لأن للقصة خصائص معينة تفرقها عن باقي الأدب القديم.[1]

الخرافة أو قصة على لسان الحيوان:

فهي حكاية ذات طابع خلقي تعليمي في قالبها الأدبي الخاص بها[2] تحكـــي علـــى لســـان الحيوان أو النبات أو الجماد وقد حكى على لسان شخصيات انسانية تتخذ رموزا لشخصـــيات أخرى فلذلك تسلك مسلك رمزي بمعنى أن الشاعر يظهر شخصيات وحوادث معينة.

هذه الحكاية لا تصير جنسا أدبيا إلا إذا توفر عنصر الرمز فليس من الأجناس الأدبية الراقية تلك الحكاية التي تفسر ظواهر الطبيعية تفسيرا أسطوريا أو توضح الأماكن العامة السائرة بين الناس فكل هذه خرافات تجري مجرى الحقائق وليست من الفنون الأدبية الراقية حتى ولو أجيد صياغتها الأدبية ومثال ما ذكرت العرب على ألسنة الحيوان "أن أرنب التقط ثمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يختصمان الى الضب فقال الأرنب يا أبا الحسل وهو ابن الضب سمع دعوته فقال أتينـــاك لنختصم إليك قال عادلا لحكمتها..." إلى آخر الحكاية، فهذه الحكاية ليست من قبيل الخرافـــة أو القصة على لسان الحيوان لأنها فقدت طابع الرمز وكل ما يقال عنها أنهما تمثل النشـــأة البدائيـــة للخرافة.

المسرحية:

المسرحية هي كذلك قصة معدة للتمثيل في المسرح ولفظ المسرحية يوناني قـــديم بمعـــنى الحركة فهي تقوم على فنين متميزين فن التأليف المسرحي، وفن التمثيل، ولهذا كان لهـــا أثـــر في

[1]- نعمات أحمد فؤاد: الأدب المازيبتي، مطبعة دار الهنا، 1954، ص135

[2]- غنيمي هلال : الأدب المقارن ص 188

النفس لأنها تؤكد المقولة الشهيرة "" أسمع فأنسى، وأرى فأتذكر وأتعلم "" فتعود نشأت المسرحية إلى اليونانيين لأنها قديمة جدا ومن الأسباب التي تؤكد ذلك : ميديا وبرمنيوس فهما من أرقى مؤلفي المسرح اليوناني فالنشأة الأولى للمسرح كانت في أثينا، وإن المسرحية تتعلق بالدين، والغناء والآلهة، حيث انقسمت إلى اتجاهين : الملهاة والمأساة فالأولى عبارة عن مسرحية ضاحكة تستمد موضوعاتها وشخصيتها من حياة الشعب، وتدور عموما حول العيوب واظهارها وذلك يكون لغاية إصلاحها وتغييرها، أما المأساة فهي فن جاد نبيل تستمد موضوعاتها من حياة الآلهة وأن هدفها التطهير.

و خلافا لهذا الرأي ينحدر موقف آخر يقول بأن المسرح كانت نشأته في مصر لدى الفراعنة واستدل أصحاب هذا الرأي بوجود قصة إيزيس لدى المصريين وهذا ما ذكره هيرودوت ومن هنا فإن المسرح اليوناني تأثر بالمصرح المصري القديم.[1]

2-2) موضوعات الأدب المقارن

إن الألمان هم أول من اهتم بدراسة الموضوعات حيث شاركوا **ماكس كوخ Max koch** في تحرير مجلته وأسهموا في دراسات تاريخ الأدب المقارن، ونذكر من بينهم دارسون في المأثورات الشعبية حيث قال فان تيفم أن دراسة الموضوعات "تنمو حيث الأدب الشعبي بالغ الروعة قوي الحياة عميق التأثير في ابداع الأدباء".[2]

بعد الألمان جاء الفرنسيون الذين رفضوا الاتجاه الأول الذي كان يعطي أهمية بالغة لمادة الأدب على الأدب نفسه لأن الموضوعات مادة الأدب الخام، أما الذي يجعل منه أدبا فهو الأنواع الأدبية حيث يتشكل الإبداع فيها(المسرحية، الملحمة، أو الشعر أو الرواية ...)

[1]- محاضرات في الأدب المقارن : مصطفى فاروق عبد العليم مدرس الأدب والنقد بالكلية، ط1 2009م، كلية الدراسات الإسلامية والعربية ص 104-106

[2]- طاهر أحمد مكي : الأدب المقارن مناهجه وأصوله، دار المعارف ط1 رمضان 1407ه مايو 1978م ص329

أما بول هازار فأخرج دراسة الموضوعات عن نطاق الأدب المقارن لأنها لا يعني بالتأثيرات الأدبية، وأدى تقدم فكرة الأدب المقارن في فرنسا إلى زهد الباحثين في دراسة الموضوعات لأنها شاعت واكثرت، لسهولتها في نظرهم وتزايدت الأبحاث الجامعية حولها .

يمكننا أن نصرح أن العمل في مجال الموضوعات ضيق إلى حد ما لأن معناها مرتبك بالمكان الذي وقع فيه الحدث وفقهها يحتاج إلى معرفة دقيقة، مما أدى بدارسين أمثال " ترسون " إلى تقسيمها إلى فرعين، الأول يهتم بدراسة الموضوعات البطولية وأساطير أما الثاني يهتم بدراسة المواقف.

أ) **دراسة الموضوعات البطولية وأساطير:**

يرفض بعض العلماء أن نجعل دراسة الآداب الشعبية والاعتقادات الخارقة والأساطير من اختصاص الأدب المقارن، "لأنها من المأثورات الشعبية لا من تاريخ الأدب الذي يؤرخ للفكر البشري من خلال فن الكتابة "[1]. ومن بين موضوعات الشخصية نذكر : فتح الأندلس وشخصية طارق بن زياد، كما جعلها الشاعر التركي في مسرحية (طارق أو فتح الأندلس) ونشرها عام 1879م وكذا الزعيم المصري مصطفى كامل في مسرحيته (فتح الأندلس) ونشرها عام 1893م .

الأساطير:

إن الأحداث أو مجموعة الأحداث التي عرفها التاريخ عبر حقبة زمنية متتالية والتي حدثت عبر الممثلين لها من أبطال خوارق إما أسطوريين وإما تارفين وبعد هذا الحقل من الحقول المفصلة لدى الأدباء المقارنين[2]، إذ يبرزون بدراستهم فيه أساطير قام بها أبطال أسطوريين تمثلت أعمالهم في أمور خارقة للعادة يصعب تصديقها في معظم الأحيان منها أساطير شهرزاد وجبل جبيين، خاتم

[1]- طاهر أحمد مكي : الأدب المقارن مناهجه وأصوله، ص343

[2]- بول فان تيغم: الأدب المقارن، ص84

سليمان وطاقية الإخفاء المعركة تدور بين الابن وأبيه دون أن يعرف أحدهما الآخر وغيرها من الأساطير.

ب)دراسة المواقف:

أي هو موقفا فلسفيا أي علاقة الكائن الحي ببيئته وبالآخرين في وقت ومكان محددين ويتشكل من خلال مشروع يقوم به الفرد ومرتبطا بما يحيط به من عوامل يضم حريته فالموقف يتكون من عوائق ومن مقاومة لها في الحياة فلكل مسرحية أو رواية أو قصة موقفا، قد يكون انسانيا حين يعبر الكاتب عن المشاعر ويصور أفكار، وقد يكون عاما يتعلق بطبيعة الموقف تبعا للقواعد الفنية التي يحتمها التصوير الأدبي، وقد يكون خاصا تبعا للأنواع الأدبية التي تتغير فيها طبيعة الشخصيات المصورة طبقا لما يتطلبه كل قالب فني منها.

فالموقف في الملحمة غير الذي في المسرحية أو الشعر الغنائي، ويختلف الموقف عن الموضوع الأدبي وعن الغرض أو الغاية منه وهو أكثر تحديدا من التجربة الأدبية في ذاتها، لأن هذه حين تكون صادقة يختلف فيها موقف الكاتب حسب وعيه وغرضه من تصويرها.[1]

2-3) دراسة المصادر:

هي تبدو سهلة للباحث المبتدئ، إذ ليس أيسر من أن تأخذ قائمة مصادر جيدة في لغة قومية ولتكن اللغة العربية مثلا وتقوم بكتابة بطاقات لكل الترجمات التي طبعت فحين يتم بعضها في عمل واحد تحت أسماء مختلفة وحتى مخطوطات لأعمال للأديب "شكسبير" فتصبح بين يديك قائمة كاملة لما ترجم من أعماله إلى اللغة العربية وان ترجمات ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة لها فائدة.

[1]- ينظر : طاهر أحمد مكي، الأدب المقارن أصوله ومناهجه ص345

إن عمل قائمة المصادر أمر جوهري فيما يتصل بالمقارن ولكنه يمثل ألف باء العلم وما هو مهم يأتي بعد هذا في حين يسعى الباحث إلى تحديد الفائدة التي تترتب عن الترجمة مثل ترجمـــة " الأيام " لطه حسين.

تتفاوت دراسة المصادر بحسب العصور والبلدان والمؤلفين فقد تصبح في لحظة ما ضرورية وجوهرية وقد تتراجع لتمثل مكانة ثانوية.[1]

هناك لونان من المصادر:

1. **مصادر شفوية:** تمثل تيارا قويا وبخاصة فيما يتصل بالموضوعات والأفكار فرب حكاية سمعها المؤلف أو حديث أصغى إليه يمكن أن يكون أساس لصفحة في مؤلف أو لكتاب كامل بل ولعل ما خلف الكاتب من أثار وتمثل الأغاني الريفية والموروثات العائلية والحكايات التي تسمعا عرضا أصول كثير من المؤلفات الأدبية ورب مذهب أدبي، ولكن كثير المصادر الشفوية وشدة أهميتها يصعب علينا تحديد أثارها.
2. **مصادر مكتوبة:** فهي أسرع من الأولى للوصول إليها ومن الخطأ أن نتخذ من تشابه النصوص دليلا وحيدا عليها وفي هذه المرحلة يجب أن نعتمد على التحليل الداخلي لتحديد مجالات التشابه والوقوف على ألوان التسلسل، ولذلك يدرس حياة المؤلف ونشأة كتابه.
3. **مصادر فردية:** تهدف المصادر الفردية إلى البحث عن كتاب أصل لكتاب آخر من أدب أجنبي، ومن الأبحاث التي كتبت في هذا المجال الجامعات الأوروبية .
4. **الكتب والمطبوعات:** تساهم الكتب بدورها في نقل الأفكار وإشاعتها بين لغة وأخرى وقد تترجم كاملة أو ملخصة، فقد يرسل بها صاحبها ادعاء ليوهم غيره أنه عالمي الثقافة، ويزعمون أصحاب الشعر كل أنهم تأثروا بالشاعر الإنجليزي إليوت.[2]

---

[1]- طاهر أحمد مكي، الأدب المقارن أصوله ومناهجه دار المعارف جامعة القاهرة ط1 ص279

[2]- المرجع نفسه، ص263.

تتقدم الدوريات والمجلات المتخصصة ماد لابأس بها في هذا المجال حيث تتحـدث عـن الكتاب والشعراء الأجانب وتنشر أراءهم أو تسلط الضوء على أفكارهم وقد أطلقت مجلة (تراث الإنسانية) التي كانت تصدر بمصر، وعرفت أوروبا في القرن الثامن عشر مجلات متخصصة في هذا الجانب مثل جريدة الأجنبية، وازدهر هذا اللون في المجلات في ق19 وأوضح مجلاته (العالمين).

2-4) أدب الرحلة:

يمكن القول أن للرحلة الى بلاد أجنبية كانت على الدوام موضع درس وقراءتها ذات أثـر تربوي لقيمتها وثيقة وللمعلومات التي تقدمها فيما يتصل بتاريخ العادات وما تنطوي فكرة الرحلة نفسها من مفارقات ومفاجآت قام بها رجال أخرون أو ينتمون إلى عصور مضت وهواية هـذا اللون من القراءة قديم وجديد فيه استخدامه لغايات مقارنة.

والأدب العربي ثري بالرحلات والمعارف التي جاء بها الرحالة من البلاد التي زاروها على امتداد التاريخ وتميز بينهم المغاربة بخاصة خلال العصر الوسيط بعضهم وقف على البلاد الـتي اقتضتها رحلة الحج وآخرون تجاوزوها الى مكان معمور وكان ابن بطوطة أشهرهم وهو مغـربي طاف بالمعمورة.

إن أدب الرحلة في البلاد الاوروبية أخذ شكلا واسعا مثل قطار الهـاربين مـن الجـوع وباحثين عن لقمة العيش في بلاد أخرى وحتى شعراء جوالين يكسبون بالغناء والموسيقى حيـث أصبحت باريس عاصمة أوروبا بسبب الأعداد الهائلة للجوالين.[1]

و لعل أول بلد فضل السبق في هذا الاختصاص هي فرنسا وذلك بدراسة وتعقب صلات التأثر والتأثير والتي تلمح في الأدب وفي الرحلة في مجال الدراسات الأدبية المقارنة وبهذا تعتبر هذه الميادين معظم ما يخوض فيه الأدب المقارن إذ قام على تقسيم تلاك الآداب القوميـة وموازنتـها بعضها بعض فيما اختلفت، والتأثر والتأثير في النبرات الفكرية والنماذج البشرية والمثل الانسـانية

[1]- ينظر الفصل الخامس بالصالونات الأدبية في نحو الأدب الإسلامي المقارن ص310

واستناد إلى النقد الذي يتناول أغراضها وأساليبها وأجناسها ومدارسها في أزمنتها وأمكنتها فازداد الأدب العالمي بالآداب القومية ثراء عبر به الأدباء هذا الكون.[1]

5-2) الصورة الأدبية:

ترجع بداية ظهور هذا الفرع من فروع الأدب المقارن إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، عندما قامت "مدام دوستال" الأديبة الفرنسية بزيارة ألمانيا وذلك لتبين مدى العداء بين فرنسا وألمانيا والصورة التي رسمها كل منهما اتجاه الآخر حيث كشفت من ألمانيا صفات جمة (الصدق، الطيبة، الاستقامة) وغيرها من الصفات والأماكن الجميلة التي تمتاز بها مثل " نهر الراين " والغابة السوداء .[2]

وهكذا كانت حصيلة زيارة "مدام دوستال" إلى ألمانيا حيث كتبت كتاب تحت عنوان "ألمانيا" قامت من خلاله بتصحيح فكرة الفرنسيين اتجاه الألمان .

أ) أسباب التباين بين الأنا والآخر:

- أن صورة الأنا تستند إلى تجارب وخبرات غنية وكافية قام بها الأديب في المجتمع الذي يصوره وهكذا فإن المعرفة العميقة والشاملة بالمجتمع الذي يصوره الأديب تجعل الصورة التي يرسمها في أدبه غنية ودقيقة وتفصيلية، وذلك خلافا لصورة يقدمها أديب لشعب أجنبي لا يعرفه حق المعرفة.
- الأديب الذي يصور مجتمعه هو ابن مجتمعه فهو مرتبط به ماديا ونفسيا واجتماعيا فهو يحمل همومه ويحرص عليه مثل حرصه على نفسه وأحيانا يرسم صورة سلبية لمجتمعه لكن الهدف منها هو إصلاح المجتمع نحو الأفضل.
- لا يمكن أن تكون الصورة التي يرسمها الأديب نحو شعب أجنبي عبارة عن تجربة أو معرفة بل قد تكون أسفا أو رحلات قام بها إلى بلد أجنبي فكثير من الأدباء وصفو في صورة

---

[1]- نجيب العقيقي: من الأدب المقارن، ج1، القاهرة، 1975م، ص12

[2]- ماجد حمودة : مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن ص 86

الشرق العربي الإسلامي دون أن يضعوا أقدامهم ترابه، فمثلا الأديب "غونه" عرف الشرق العربي عبر كتاب ألف ليلة وليلة.

- إن أهم ما ينبغي التأكيد عليه، هو أن الصورة التي يرسمها الأديب لمجتمع أجـــنبي لا تنقـــل مشكلاته وهمومه بل تنقل بالدرجة الأولى هموم ومشكلات وحلات نفسية للأديب في حد ذاته.

ب)العناصر المكونة للصورة:

إن أول عنصر مكون للصورة هو ذلك المخزون من الكلمات وهذه الكلمات عبارة عـــن حقول معجمية . أما ثاني عنصر فهو ذلك الفعل الثقافي اتجاه الآخر تعتبر الصورة لغة فهي ترســـم واقع وتدل عليه ومن يرفع تلك اللغة هو الخيال، فهو في الوقت نفسه تعبير عن ثقافة المجتمع.[1]

ت)أهمية دراسة الصورة:

دراسة صورة الشعوب الأجنبية في الأدب العربي له فوائد جمة إذ أن الصـــورة المشـــوهة كصورة العرب في الآداب الأجنبية تعكس أشكال التشويه الت تنطوي عليها اشـــكالية فكريـــة واجتماعية ونفسية عربية تستحق تدرس وتحلل.

3. مدارس الأدب المقارن:

3-1) المدرسة الفرنسية:

المدرسة الفرنسية أو التقليدية التي تعتبر أول اتجاه ظهر في الأدب المقارن وكان ذلك أوائل القرن التاسع عشر واستمرت بعدها وكان " **أبيل فيلمان Abel Villemain**" هو أول من استخدم مصطلح الأدب المقارن، إذ قام بإلقاء المحاضرات في جامعة السوربون حول علاقة الأدب الفرنسي بالآداب الاوروبية وتناول فيها التأثيرات المتبادلة بين الأدب الفرنسي والأدب الإنجليزي وكان وراء

[1]- ماجد حمودة : الأدب المقارن مفهومه ومدارسه ومجالات البحث فيه، مجلة، ص397

هذه المدرسة مجموعة من الأدباء والباحثين الكبار الذين يؤمنون بالانفتاح ويتركون كل نزعـــة إلى انغلاق وانعزال .

كما أطلق عليها المدرسة التاريخية لأنها قامت على المنهج التاريخي وتقوم بدراسته علـــى استقصاء ظواهر علمية التأثير والتأثر بين الآداب القومية المختلفة.[1]

و باعتبار أن هذه المدرسة أول اتجاه ظهر، فكانت متفوقة ثقافيا على غيرها مـــن الـــدول الأوروبية في القرن التاسع عشر وقد عرف المنهج الفرنسي بترعته التاريخيـــة في دراســـة الأدب، وعرفت تلك الترعة رواجا وانتشارا واسعا في موطنها فرنسا وهذه الترعة التاريخية التي صبغت بها المدرسة الفرنسية لم تبقى حبسة الرعيل الأول من المقارنين الفرنسيين، حيث ربطت هذه التسمية بالآداب وتاريخها إلى درجة اعتبار " أن تاريخ الأدب هو جزء كبير منه تاريخ مصادره ومواضيعه وموارده الأدبية التي تتمثل داخل الأدب القومي وبين الآداب القومية على اختلافها.[2]

إضافة إلى اعتماد المدرسة على المنهج التاريخي الذي يحصر الصلة بين الأعمـــال الأدبيـــة العالمية في مجال التأثير والتأثر التاريخي المباشر[3]. فكانت فرنسا أكثر الـــدول العالميـــة و الغربيـــة والأوروبية تهيئة لاستقبال الدراسات المقارنة إذ ظهر لديها مجموعة قيمة من الدارسين مما أرســـى دعائم هذا العلم ودفعه إلى الظهور بين الأوساط الأدبية، فنذكر أهم هؤلاء الرواد للمنهج التاريخي " هيبو لبت تين وبرونتيم فردناند وسانت بيف " الذين مهدوا الطريق أمام التاريخ الأدبي الـــذي ضاقت به حدوده القومية الفرنسية، فأخذت توسع دائرة المعارف في مختلف أرجاء أوروبا .

و بالإضافة إلى " فرناند بالدونس بارجيه " في مقدمته(الكلمة والشيء) العدد الأول من مجلة الأدب المقارن عام 1921م

---

[1]- أصفر علي، محمد زبير أكمل : الأدب المقارن مفهومه ومدارسه ومجالات البحث فيه، مجلة، ص 397

[2]- عبده عبود : الأدب المقارن، مشكلات وأفاق، ط1، ص 64

[3]- أحمد زلط : قضايا واتجاهات الأدب المقارن، ط1، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، 2008، ص 105

- بول فان تيغم في كتابه الأدب المقارن سنة 1931م .
- فرانسوا ماريوس غويار (الأدب المقارن) .
- جان ماريه كاريه الذي قدم كتاب غويارد سابق الذكر ولعله يعد ممثل الكلمة الأخيرة في المنهج الفرنسي عند الرعيل الأول من روادة

مبادئ المنهج الفرنسي (المدرسة التقليدية):

لقد كان لرواد المنهج الفرنسي الذي سبق وذكرناهم مبادئ يعتمدون عليها في الأدب المقارن فهي تنحصر في:

- دراسة الأدب الفرنسي وتتبع أثره في الآداب الأوروبية الأخرى .
- دراسة الصلات بين الأدب القومية الأخرى، وذلك مشروط بالاختلاف في اللغة ووجود صلات تاريخية مدعمة للتأثير والتأثر المباشر كان أو العكس .

2-3) المدرسة الأمريكية:

المدرسة الأمريكية أول ما تسمى (المدرسة التقليدية) أو المنهج الانساني .

إن الانتقادات التي وجهت للمنهج الفرنسي في الأدب المقارن ولعل أبرزها كانت في عدم تحديد موضوع الأدب المقارن والتركيز على العامل القومي وخضوع الترعة التاريخية فآلت هذه الانتقادات لميلاد منهج أمريكي كان أول ضهور له عام 1958م وبالضبط عندما ألقى " رينيه وليك" الناقد الأمريكي محاضرته الجهوية والمعنونة بـ " **أزمة الأدب المقارن** " في المؤتمر الثاني لرابطة العلماء للأدب المقارن[1]؛ إذ انتقد فيها بشدة مؤسسي المنهج الفرنسي وعاب عليهم تمسكهم لمنهجية القرن التاسع عشر المتمثلة في الولع بالحقائق والعلوم النسبية التاريخية وعلاقة تأثير وتأثر وإلى ما ذلك من مبادئ المنهج الفرنسي، ودعا إلى ضرورة الالتزام بأهداف البحث الأدبي المقارن، والمتمثلة في وصف العمل الفني وتفسيره وتقويمه أو وصف أي مجموعة من الأعمال الفنية

[1]- ينظر : يوسف بكار، خليل الشيخ : الأدب المقارن ص 82

وتفسيرها[1]، فهذا المأخذ الذي أخذه " رينيه ويلك " لاقى ترحيبا كبيرا لدى المقــارنين فواصــلوا السير على دربه وطوروا المنهج الأمريكي في الأدب المقارن[2]، فالمنهج الأمريكــي في الدراســات المقارنة يرتكز على عاملين أساسيين كما ذكر " كلود بيشو " اتكــاء الأدب المقــارن لمــا وراء الأطلنطي امريكا على مبدأين المبدأ الأخلاقي وبعكس موقف أمة كبيرة متفتحة على العالم وهــي منشغلة من ثم بإعطاء كل ثقافة أجنبية ما تستحقه من عطف ديمقراطي وواعية في نفــس الحــين بجذورها الغربية.[3]

أما العمل الثاني فتمثل في المبدأ الثقافي الذي يسمح للأمريكيين بأخــذ بهــذه البانورامــا الواسعة الذي يمثلها القديم إلى حدود القرن العشرين والتي تحتفظ بالقيم الجمالية والانسانية للأدب بنوع من الغيرة حيث تشعر بها القيم كفتح روحي ملاحقة تجريب المناهج والتأويلات.[4]

بهذا العاملين تكون المدرسة الأمريكية قد أخذت نصيب الأسد مــن نتــائج المنجــزات الأوروبية، وكانت حداثة حضارتها عبارة عن مزيج من الثقافات والجنسيات الأجنبية ولعــل مــا ساعد المنهج على التطور والتوسع هو عدم ارتباطه بالمستعمرات عكس المنهج الفرنسي .

كما اعتمد المنهج الأمريكي على عاملي التشابه والتوازي[5] أي أن الأمــريكيين ينــون مقارنتهم على الاهتمام بدراستهم الآداب في صلاتها مع التجاوز الكلي لحدودها القوميــة الأمــر الذي نوع الأدب لا اللغة، مما يكون فاصلا بين الآداب على اختلافها .

---

[1]- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص 97 – 98

[2]- ينظر عبده عبود : الأدب المقارن مشكلات وأفاق، ص 48

[3]- ينظر: سعيد علوش : مدارس الأدب المقارن، ص 93

[4]- المرجع نفسه، ص 93

[5]- ينظر : عز الدين المناصرة : النقد الثقافي، ص77

رواد المنهج الأمريكي:

إن أي منهج من المناهج لا بد أن يكون له مؤسسين يصنعون مبادئه ويرسون قواعده فالمنهج الأمريكي هو كغيره من المناهج له رواد نذكر من بينهم:

- رينيه ويلك : الذي يعد أحد مؤلفي كتاب " نظرية الأدب ".
- هنري ريماك : صاحب كتاب الأدب المقارن تعريفه ووظيفته .
- هاري ليفن : صاحب كتاب " انكسارات " مقالات في الأدب المقارن.
- أولريش فايشتاين : صاحب كتاب الأدب المقارن والنظرية الأدبية .

خصائص المنهج الأمريكي:

إن ما ميز المنهج الأمريكي هو السمات التي ميزته عن باقي المناهج الأخرى وخاص المنهج الفرنسي الذي أخذ عليه عدة مآخذ من طرف الناقد الأمريكي رينيه ويلك ويمكن تلخيصها كالآتي :

- توسيع مجال الأدب المقارن بتقديم مفهوم أوسع للعلاقات الأدبية ومد آفاق المقارنة لتشمل العلاقة بين الأدب وأنماط التعبير الإنساني الأخرى كما تبدو في تعريف هنري ريماك للأدب المقارن .
- ملاحقة العلاقات المتشابهة بيت الآداب المختلفة وفقا لمفهوم التوازي أو التشابه أو القرابة وهو مصطلح أمريكي .

- تفادي المآخذ التي أخذت على المنهج الفرنسي، كما تجلت مقال ويلك أزمة الأدب المقارن.[1]
- دراسة الأدب تتعدى حدود بلد معين ويمكن دراسة آداب من بلاد مختلفة .

[1] – بن كروم يمينة، الأدب المقارن بين مفهومين الفرنسي والأمريكي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، كلية الأدب والفنون، تخصص أدب مقارن، جامعة عبد الحميد بن باديس– مستغانم، 2016-2017، ص 64.

- التأكيد على أهمية دراسة العلاقات بين الأدب والفنون الانسانية المختلفة مثـــل النحـــت والموسيقى وكذلك العلوم الاجتماعية .
- دراسة مناطق التأثير والتأثر عند المقارنة بين الآداب المختلفة ومعرفة العلاقات بـــين الأدب والمعارف الانساني الأخرى.

الفرق بين المدرستين الفرنسية والأمريكية:

إن الهدف الذي تسعى اليه المدرس الفرنسي لا يعني بالضرورة المدرسة الأمريكية، لأن هذه الأخيرة يكمن في دراسة الظاهرة الأدبية في شموليتها دون مراعاة الحواجز السياســـية واللســـانية، حيث يتعلق الأمر بدراس التاريخ والأعمال الأدبية من وجهة نظر دولية .

ويظل الهدف الأساسي الذي تسعى إليه هاته المدرسة هو تجميع المعارف الأدبية .

- فالمقارن الفرنسي يلح بضرورة تركيز الجهود على تحليل الفضاءات وردود الأفعال بينمـــا يسعى المقارن الأمريكي إلى إعادة التنظيم العلمي لدراسة الآداب، وهكذا يـــبني موقـــف الأمريكيين في بناء مقارنة على أساس الاهتمام بدراسة الآداب في صلاته التي تتعدى حدود القومية، ومن ثم تعمل المدرسة الأمريكية على ملاحقة العلاقات المتشـــابهة بـــين مختلـــف الآداب معتمدة على مزابين العمل الأدبي والفني .[1]
- و من هناك مطمح الأدب المقارن عند المدرسة الأمريكية هو دراسة أي ظاهرة أدبية مـــن وجهة نظر أكثر من أدب واحد في اتصالها أو عدمه بعلم آخر أو أكثر من علم لهذا كانت وظيفة المقارن أدبية عند " هنري "هي التصدي للمقارنة بين أدب وأدب.

و مما سبق ذكره يظهر لنا أن الفرق بين المدرسة الفرنسية والأمريكية تتلخص في لأربـــع نقاط.[2]

[1]- ينظر: برابح محوي وحاتم كعب، محاضرات وتطبيقات في مادة الأدب المقارن، مستوى ثالثة ليسانس تخصص أدب فوج أول، ص17

[2]- برهان أبو عسلي : محاضرات في الأدب المقارن، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ج8، ص5

- يتوسع الأمريكيون في مقارنة أكثر من أدبين على خلاف الفرنسيين الذين لا يقبلون المقارنة سوى بين أدبين فقط ف الأمريكان والفرنسيين يتفقون في أن المقارنة في الأدب تكون بمقارنة أدب قومي آخر لكنهم يخفي كيفية تلك المقارنة.
- ركز الفرنسيون على مسألة الصلات بين الآداب وعلى مسألة التأثير والتأثر، ويفضلون في هذه الحال الاعتماد على وثائق ملموسة تؤكد تأثير أحد الأجبين بالآخر، بينما يكن من ذلك شيء عن الأمريكيين.
- انهمك الفرنسيون في البحث عن الصلات ودراسة التأثير والتأثر وبذلك فقد أغفلوا مسألة مهمة وهي مسألة التذوق الفني والجمالي للأدب.
- أما عن الخلاف الأكبر بين المدرستين فيتمثل في المقارنة بين الأدب وحقول المعرفة الأخرى فالفرنسيون اقتصروا المقارنة بين أدبين اثنين بينم اكان رأي الأمريكيين مختلفا.

3-3) المدرسة السلافية:

تسمى المدرسة السلافية أو المنهج السلافي أو الماركسية، حين كان أول ظهور لها في النصف الثاني من القرن العشرين للميلاد وسميت المنهج الماركسي لاعتمادها على الفلسفة الوجودية الماركسية في الدراسات الأدبية المقارنة وتأخر ظهورها الى ما بعد زوال الستار الحديدي الذي يعرف بالمرحلة الستالينية حيث عرفت هذه المرحلة بالتعسف الصارم إذا اعتبر خلالها الأدب المقارن علم مقتصرا على الطبقة البرجوازية و، وبعد سقوط الستالينية وحلول الماركسية أصبح المنهج السلافي في الأدب المقارن له وجوده وكيانه، فبعدما كان مقتصرا على الطبقة البرجوازية، فأصبح المنهج السلافي مدرسة تحث على الخصوصية الوطنية في حديثها عن الدرس المقارن لأن أهمية الدرس تتحدد في تقدير نزعة الأدب الذي يستهدف الكشف عن وجود الفن[1]، وبهذا تكون الدراسات المقارنة قد توسعت على جميع طبقات المجتمع وأصبح منهجها يركز على الخصوصية

[1]- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص 134

الوطنية في الدراسات المقارنة وبهذه الخصوصية جعلته يضع نصبه أن دراسة الأدب لا يجوز أن تتم بمعزل عن دراسة المجتمع والتطورات الفنية والفكرية التي تظهر في أدب.[1]

مبادئ المنهج السلافي:

لقد ذكرنا سابقا أن المنهج السلافي يعتمد على الموضوعية الماركسية فهي تتوارى نظرياتها في " أن الأدب جزء من البناء الفوقي للمجتمع " يقف خلافه بناء تحتي، فالأول يتناول بناء إيديولوجي والثاني بناء اقتصادي اجتماعي، فالبناء التحتي له دور كبير في علاقة التأثير المتبادل بينهما، ذلك أن الواقع الاقتصادي يتحكم في الانتاج الأدبي ويحدد أشكاله ومضامينه، فهو الذي يزوده بالمادة والموضوعات ووسائل الإنتاج للمتنقلين، فإذا ما فرضنا – وهنا تكمن المقارنة – أن ثمة مجتمعين متقاربين في التطور فإن هذا مدعاة لأن تبرز وجوه من التشابه الكبير بين أديبيهما وأن تقم بينهما علاقة التأثير والتأثر فإن اعتماد المنهج على الفلسفة الماركسية في دراسته الأدبية المقارنة يتسم بقدر كبير من التنوع وتعدد الاتجاهات مما جعل له خصائص تميزه وهي:[2]

- تفادي المآخذ التي أخذت على المنهج الفرنسي، كما تجلت في مقال ويلك " أزمة الأدب المقارن ".
- توسيع مجال الأدب المقارن بتقديم مفهوم أوسع للعلاقة الأدبية.
- كما أن المدرسة السلافية تمثل الصراع الطبقي ومصالح مادية فهي تعمل على تغيير العالم وليس فهمه .
- التاريخ عند الماركسية (المادية الجدلية) عبارة عن صراع بين الطبقات نتيجة عوامل اقتصادية.
- تفسير الحوادث والتاريخ بناء على نظام الملكية.

---

[1]- عبده عبود: الأدب المقارن مشكلات وآفاق، ص 41

[2]- يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، ص 86

- محاربة الأديان واعتبارها وسيلة لتخدير الشعوب.[1]

رواد المنهج السوفياتي:

من بين الرواد الذين قاموا بتأسيس المنهج السوفياتي نذكر:

- فيكتور جيرو منسكي الذي هو الرائد والمؤسس لهذا المنهج وقد عرف عنه أنه لم يـنح في أبحاثه منحى دراسات التأثير والتأثر الفرنسية، بل نحا منحى آخر ينسجم مع جوهر الفلسفة الماركسية ونظرية الأدب المادية والجدلية، الذي تعد مقولة الارتباط الجدلي من بين الأدب والمجتمع أبرز مقولاتها[2] ولعل الأمر الذي يوضح الاختلاف القائم بين المنـهج الفرنسي المعتمد على النزعتين التاريخية والوضعية، وبين المنهج السوفياتي أو الماركسي القائم على النزعة المادية الجدلية .
- كما نجد دبونيز دو ريزين، وهنريك ماركيفتش، وألكسندر ديما، وروبرت فايمان وكلهم معروفون عالميا، كانت لهم اسهامات كبرى في ارساء ركائز هذا المنهج والنهوض به ودفعه ليكون في مصاف المناهج الكبرى.[3]

[1] – دليل الناقد الأدبي، ص323

[2] – عبده عبود: الأدب المقارن مشكلات وآفاق، ص 45

[3] – ينظر: يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، ص 86

الفصل الثاني:

تلقي العرب الأدب المقارن

1)التلقي العربي المطابق لنظرية الأدب المقارن.

2) التلقي العربي المغاير لنظرية الأدب المقارن.

3) المدرسة العربية في الأدب المقارن.

توطئة:

ارتبطت بداية التلقي العربي لنظرية الأدب المقارن ارتباط وثيقا بالإشكاليات الفكرية التي استدعت ضرورة الانفتاح على الغرب، وكانت حملة نابليون بونابرت على مصر سـنة 1798 نقطة التقاء الحضارة بالواقع العربي المتدهور، حيث أحدث هذا الالتقاء تغييرا كبيرا وشاملا علـى مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ...

وبالرجوع إلى تاريخ الدراسات الأدبية المقارنة عند العرب يتبين أن رواد النهضة العربيـة هم أصحاب البدايات الأولى، لقد ركزوا على دراسة التشابه والاختـلاف بـين الأدب العـربي والآداب الغربية الحديثة، و لم يتطرقوا إلى دراسة التأثير والتأثر لأن فضل أمة على أمة أخرى لم يكن من اهتماماهم، عكس ما ذهبت إليه المدرسة الفرنسية عند اشتراطها للصـلات التاريخيـة بـين الأدب.[1]

1. التلقي العربي المطابق لنظرية الأدب المقارن

1-1- تلقي المدرسة الفرنسية:

عد الرائد محمد غنيمي هلال مؤسس الأدب المقارن في العـالم العـربي عـن جـدارة واستحقاق، فقد عرف بمعرفته الموسوعية في الأدب العربي والآداب الأجنبية، فقد تلقى تكوينه في هذا المجال على يد فان تيجم بالديون، حيث تحصل على الإرث المقارني بكامله من كبـار ممثلـي المدرسة الفرنسية وتشبع به قلبا وقالبا، روحا ورؤية وممارسة وهذا ما جعله عارف بالمنهج التاريخي التقليدي للمدرسة الفرنسية بكل شروطه التاريخية والحواجز اللغوية وعلاقة التأثر، وبهذا كان الرائد محمد غنيمي هلال مستوفيا لكل شروط الباحث المقارن.[2]

[1] – ينظر: ماريس فرانسوا: الأدب المقارن، ط6، بارسي 1978، ص 25.

[2] – صغور أحلام: واقع الدراسات المقارنة في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، السينيا- وهران، 2008-2009، ص 73.

وعليه يمكننا القول: إن غنيمي هلال حاول استبيان المفاهيم الغربية للأدب المقارن في بيئة عربية، ناقلا إياها بكل أمانة، و لم يحد عنها نظريا وحتى تطبيقيا، في سلسلة من المحاضرات ألقاهـــا بكلية دار العلوم بالقاهرة، ثم جمعها في كتابه الموسوم الأدب المقارن.[1]

ومن جانب آخر يذكر هلال تبدد هذه القضية المثارة أمام حقيقة وجود التبادل الثقـــافي فيما بين الآداب المختلفة من خلال علاقتي التأثير والتأثر، دون أن تقف مسألة اختلاف اللغـــات عقبه في طريق ذلك، وسيكون الأدب المقارن إهتم بدراسة الأفكار الأدبية المشتركة والأجنـــاس الأدبية والتيارات الفكرية العامة كاهتمامه بدراسة الظواهر الفردية في الإنتـــاج الأدبي، ومـــن ثم تتحدد الوجهة التعليمية للكتاب الذي يقدمه د. هلال في عرض موضوع الأدب المقارن بشـــكل إجمالي مؤكدا على دعوته لإقرار منهج منظم لهذا العلم الحديث في الجامعات المصرية، ويذكر أيضا سبب إثاره من الأمثلة التوضيحية لما يعرضه من مسائل وأفكار مقارنيه عامة، فالغرض هو التعريف والتوضيح لمبادئ هذا العلم وتوفي أن يكون ذلك موجها تحفيزيا للمشاركة في هذا المجال البحثـــي المهم والجديد.[2]

إن ما يمكن أن نعده موجها أساسيا لكتاب غنيمي هلال من خلال مقدمته والذي سنلمس أثره واضحا في محاور الكتاب ومنهجه يتمثل في تبني الكتاب الدور التعليمي / التعريفي بـــالأدب المقارن، وتحديد ملامح منهجه، ولعل المضمر من هذا الموجه هو هاجس إثبات الشرعية العلميـــة والجدوى المعرفية للأدب المقارن أمام الإشكاليات المثارة ضده والتي أشار لبعضها هلال في مقدمته كما مر ذكره، وبهذا ما يفسر ارتكازه شبه الكامل في كتابه على أراء قطبي المدرســـة الفرنســـية ماريوس فرانسوا ويول فان تيغم.[3]

[1]- غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة ودار الثقافة، ط5، بيروت 1987، ص 8.

[2]- المصدر نفسه، ص 08.

[3]- ينظر: سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، المركز الثقافي العربي، ط1، 1987، ص 210-211.

يعد كتاب الدكتور محمد غنيمي هلال الثمرة الحقيقية للتيار المقارن الفرنسي وهو في أوج إشعاعه باعتباره منعطفا في تاريخ الأدب العربي المقارن، إذ يجسد الكاتب العمل المنهجي الأول في التلقي العربي لنظرية الأدب المقارن وفقد الرؤية الفرنسية. ومن هنا تأتي أهمية هذا الإنجاز، ويعززها انسجام هذا التلقي مع طبيعة النشاط الثقافي الذي عاصره، والذي كان مندفعا نحو معانيه الأخرى ونقل منجزاته في كافة الأصعدة؛ إذ صار من المتيسر معرفة طبيعة التلقي العربي المعاصر لظهور كتاب غنيمي هلال؛ إذ يتضح اشتغال التلقي العربي بما يؤسس لرؤية نقدية منهجية في دراسة الأدب، وهو ما يؤشر تحولا نوعيا في طبيعة هذا التقي لثقافة الأخر وانتقاله من مرحلة الاكتشاف والانبهار إلى مرحلة التأمل والاستيعاب والبحث عن النقل النوعي، الذي يتمثل فيه سمات الوعي النقدي بطبيعة النص الواحد ومعطياته ومدى إمكانية الاستفادة منه في تأسيس وتطور معرفة نقدية عربية حديثة نستطيع مسايرة التطور الحاصل في الكتابة الإبداعية من خلال مقاربته بمستوى إجرائي فاعل ومنتج.[1]

حيث تناول الدكتور محمد غنيمي هلال بإيجاز في مقدمته الطبعة الأولى قضية إشكالية كانت قد أثيرت حول دراسة الأدب القومي عبر علاقته المتنوعة بآداب الأمم الأخرى، ومن استحالة تحقيق مثل هذه الدراسة بسبب الدور الكبير في صياغة وعرض المادة الأجنبية، وهو ما يتشكل من الجانب الفني الذي يعد مقوما كبيرا ومهما من مقومات الأدب، الأمر الذي يجعل من اختلاف اللغات حدا يحول دون انتقال الأفكار وتبادلها في صورها الفنية.[2]

على صعيد آخر يحاول د. غنيمي هلال أن يقدم محفزا إيديولوجيا دليلا على أهمية الأدب المقارن في الدراسات الأدبية، ففي مقدمته لطبعة الكتاب الثانية يؤكد أهمية البحث المقارن في دراسة الأدب القومي وتقويمه، وبيان خصائص المميزة الأصلية وتطويره من خلال الإفادة من منجزات حركات التجديد في الآداب العالمية جاعلا مما حققته طبعة الكتاب الأولى من قبول

[1]- علي مجيد داود البديري: الأدب العربي المقارن في ضوء جمالية التلقي (الدراسات النظرية المقارنة)- أنموذجا، ص 88.
[2]- المرجع نفسه، ص 89.

وإقبال لدى القراء والأكاديميين دليلا على استجابة القارئ العربي إلى "نداء الوعي القومي العربي الحديث"، ومؤكدا على دور الأدب المقارن في الكشف عن "أصالة الروح القومية" وهو ما يمثل جانبا من جوانب "رسالة الأدب المقارن الخطيرة الشأن" كما يقول.[1]

وهكذا يتجلى هاجس تحقيق وإثبات الجدوى العلمية للأدب المقارن عند غنيمي هلال بارتباط دعوته ارتباطا كبيرا بسياقها الثقافي العام، فقد شهدت فترة الخمسينات والستينات من القرن العشرين ثورة الانفتاح على المناهج النقدية الغربية وتبني الرؤية المنهجية العلمية في الدراسة الأدبية، من دون تجاوز للخطوط الحمراء التي كان يفرضها الفكر لقومي السائد في الساحة الثقافية آنذاك، وسواء أكان د. هلال مقتنعا بتبني المنهج القومي[2]، أو أنه كان يخضع لضغوط النسق الثقافي السائد، فإنه كان يتحرك في ساحة تتيح له عرض أرائه الافتتاحية بوضوح تام؛ إذ نجده يبالغ حد التضخيم في جعل الأدب المقارن يعمل على تغذي الشعور القومي، على الرغم من انتباهه إلى ما يشكله الشعور القومي من تهديد لطبيعة الدرس المقارن في تحديد أفقه وهدفه، فنجده يقتبس عن بول هازار تأكيده انتقاله الأدب في أوربا إبان القرن الثامن عشر من حدود القومية الضيقة إلى "أفق أوسع" و"غاية أسمى" وهو ما كان يمهد ويوفر في رأي هازار للأدب المقارن جوا يحقق فيه نشوءا صحيحا وتطورا نوعيا.[3]

بيد أن طغيان البعد الإيديولوجي متثملا بالهدف القومي على سواه في توجيه أهداف الدراسة المقارنة ثان من المسائل التي أضعفت التزام الباحث الغربي لمقارن بالموضوعية في بحثه قبل المقارن العربي، فقد كان الدافع القومي في ارتياد ميدان الأدب المقارن من أبرز المآخذ التي سجلتها المدرسة الأمريكية على المدرسة الفرنسية فيما بعد، ففي مقالته المشهورة (أزمة الأدب المقارن) يؤشر رينيه ويلك مغالطة كبيرة يقع فيها المدافعون عن أهمية الأدب المقارن في الدراسات الأدبية،

---

[1]- ينظر: محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص (أ) من المقدمة.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، أ- ج.

[3]- ينظر: محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 29.

حينما يركزون على دوره في خدمة الأدب القومي، متناسين أن الأدب المقارن ظهر كردة فعل ضد القومية الضيقة التي ميزت الكثير من بحوث القرن التاسع عشر، وكاحتجاج ضد انعزالية العديد من مؤرخي الآداب الفرنسية والألمانية والإيطالية والانجليزية ... إلخ.[1]

إذ أن الاهتمام بتحقق الفائدة للأدب القومي والحرص على إعلائه وإبراز دوره الفاعل والمؤثر في الآداب الأخرى يقود إلى الرغبة في تنمية مدخرات امة الباحث عن طريق إثبات أكبر عدد ممكن من التأثيرات التي أثرتها أمته على الشعوب الأخرى، أو عن طريق إثبات أن أمة الكاتب قد هضمت أعمال أحد العظماء الغرباء وفهمه أكثر من أي أمة أخرى.[2]

أما في الفصل الثالث فيحدد الشروط الأساسية المكونة لـ (عدة الباحث في الأدب المقارن) وهي أن يكون الباحث عالما بالأحداث التاريخية للعصر الذي ينتمي إليه النص الأدبي المدروس لما لهذه الحقائق من أثر كبير في تشكيله وفي الفصل الرابع تناول ميادين البحث في الأدب المقارن، ونذكرها.

- **أولا:** العلاقات الأدبية الدولية التي تتم من خلال التأثير والتأثر، يخرج الدكتور هلال من دائرة هذا العلم نوعين من المقارنات الأدبية، أولها: الموازنات التي تجري داخل الأدب القومي الواحد، كالموازنات المعروفة في الدقة العربي بين جرير والفرزدق وبين أبي تمام والبحتري، وبين المتنبي وأبي العلاء المعري إلخ... إن مقارنات كهذه من اختصاص مؤرخي الأدب القومي ونقاده[3]، وهذه المسألة لا يختلف حولها المقارنون فميدان الأدب المقارن باعتراف الجميع من الظواهر التي يتجاوز أدبا قوميا وحدا.[4]

[1]- رينيه ويلك: مفاهيم نقدية: ، ص 367.

[2]- المصدر نفسه، ص 368.

[3]- ينظر: محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 92- 102.

[4]- ينظر: المصدر نفسه، ص 13.

أما النوع الثاني من المقارنات فهي تلك الموازنات التي نفقد بين كتاب ينتمـــون إلى آداب قومية مختلفة، وذلك لمجرد وجود أي تشابه أو تقارب بينهم.

- **ثانيا:** استناد الدكتور هلال في قيامه بتضييق ميدان الأدب المقارن وتحويله إلى مجرد نـــوع خاص جدا من التاريخ الأدبي "تاريخ العلاقات الدولية"، فمن الواضح أن هلال ينطلق من فهم معين مما هو تاريخي بمعنى انه يحصره في الظواهر التي تقوم بينها صلات سببت قابلـــة للإثبات بصورة ميدانية أي بالوثائق والأدلة.[1]
- **ثالثا:** دراسة الأجناس الأدبية ويعرفها د. هلال: "بالقوالب الفنية الخاصة الـــتي تفـــرض طبيعتها على المؤلف اتباع طريقة معينة"، ويذكر شروط يتوجب على الباحث المقارن أن يراعيها في الأجناس الأدبية، مثلا: أن يحدد الجنس الأدبي في دراسته.
- **رابعا:** دراسة التيارات الفكرية التي تسود عصرا ما.
- **خامسا:** دراسة مصادر الكتب في هذا النوع من المصادر ومرجعيات الأديـــب في نتاجـــه المدروس التي استحصاها من الآداب الأخرى.
- **سادسا:** دراسة الموضوعات الأدبية وينكر الدكتور هلال على أن هذا النوع من الدراسات لم يهتم ويركز عليه الفرنسيون والإيطاليون عكس الألمان الذين اهتموا به بشكل كبير.
- **سابعا:** الدراسات الترجمية ويعتبرها دعاتها اليوم حقلا معرفيا مستقلا عن الأدب المقـــارن ويعطونها أهمية تفوق أهمية هذا الأخير.

على أية حال مجالات البحث في الأدب المقارن وميادينه كثيرة ومتنوعة أهمهـــا الأبحـــاث اللغوية والموضوعات والأساطير وتأثير أديب في أدب آخر والمصادر والتيارات الفكرية والمـــذاهب والدب وعلم الصورة[2]، والانفتاح على مختلف التراعات النقدية والفنية والفكرية.

[1]- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص 208-212.

[2]- نظري هادي- ريحانة منوصري: الأدب المقارن (مجالات البحث)، ص 138.

أما فيما يخص الباب الثاني فقد تناول حقول الأدب المقارن وميادين البحث فيه مقسما إياها إلى سبعة فصول وهي:

1. عالمية الأدب وعواملها.
2. الأجناس الأدبية.
3. المواقف أو النماذج السرية.
4. تأثير الكاتب في أدب أمة أخرى.
5. دراسات المصادر.
6. المذاهب الأدبية.
7. تصوير الآداب القومية للبلاد والشعوب الأخرى.

ومن هنا نرى أن الكتاب قد تناول بحوث الأدب المقارن ومناهجها وأكثر من الأمثلة التوضيحية لما يذكره من تحديدات نظرية لمجالات الدرس المقارن، وخصص خاتمة تناول فيها الفرق بين الأدب المقارن العام.

وهكذا فإن غنيمي هلال لم يسع من خلال كتابه إلى إثارة قضية بعينها من القضايا الأدب المقارن وإنما حاول أن يقدم للقارئ العربي نظرة شاملة عن هذا العلم ويكفينا أن كتابه كان أقل محاول منهجية منظمة للتأليف في هذا المجال، وظل منذ الخمسينات مصدرا أساسيا للأدب المقارن في الجامعات العربية وأثر في العديد من الباحثين وقد توسع غنيمي هلال في الطبعة الثانية الصادرة في 1961 والطبعة الثالثة سنة 1962 وشمل التوسيع دراسة الأجناس الأدبية والمذاهب الأدبية في محاولة لربط الأدب المقارن بالنقد الأدبي والنقد المقارن وقد أثرت جهوده في الفكر العربي الحديث على مدار أربعة عقود كاملة ولا تزال إلى يومنا حاضره.[1]

[1]- ينظر: صغور أحلام: واقع الدراسات المقارنة في المغرب العربي، ص 75.

هيمنة النموذج الإرشادي:

كان للأفق التاريخي والسياق الثقافي الذي ظهر فيه كتاب د. غنيمي هلال أثرا كبيرا في أن يتخذ المتلقي نمطا محددا، هي تشكل الكتاب "نموذجا إرشاديا"، فقد كانت الدراسة في السوربون آنذاك "تمثل في الوعي الثقافي العربي دورة الحداثة[1]. فصدر بعد كتاب الدكتور هلال، تلقي من نمط واحد هو ما يمكن تسميته بـ "التلقي المطابق" الذي يحرص في تحققه على أن يكون مطابقا للنص الأصلي المقروء.

في كثير من الأحيان تلعب المكانة الاجتماعية والعلمية للمؤلف دورا كبيرا في رواج كتبه أو أحدها، وإعلائه على مستوى النموذج. إلى الحد الذي تصبح فيه الإشارة إلى اسمه بديلا عن عنوان كتابه، ويكون السياق المعرفي أو التخصص الذي يذكر فيه مرشحا لأحد كتبه ومميزا لها والواقع أن الظاهرة شائعة في أنظمة التأليف العربي في المعارف عامة، ولا تختص بالتأليف العربي في الأدب المقارن، وهي تجليات التأثير الكبير لما يسمى بـ "سوسيوجرام المعرفة"، الذي تكونه أنظمة العلاقات المختلفة التي تربط ما بين المعرف والعلوم في الحياة الفكرية، وهو يتم بوجود الأستاذ المحور في النظام التعليمي، ويقابله الكتاب الأم في النظام التأليفي، الذي يستقطب من حوله النصوص التفرعة عليه، كما يتحلق الطلاب حول أستاذهم في نظام من الانتماء والتواصل والتأصيل العلمي.[2]

إن هناك العديد من القراءات التي تتسلخ عن سياقها الثقافي متجاهلة التطورات الحاصلة في المناهج والنظريات النقدية وأثر هذا التطور على الأدب المقارن ومناهجه، لتكون امتداد أمينا للرؤية التاريخية للمدرسة الفرنسية، وفي هذا السياق يمكن أن تذكر الكتب المؤلفة التي توالت في الظهور

[1]- خليل الشيخ: دوائر المقارنة- دراسات نقدية في العلاقة بين الذات والآخر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 2000، ص 85.

[2]- كمال عرفات نبهان: العلاقات بين النصوص في التأليف العربي- دراسة على تفارع النصوص العربية، العربي للنسر والتوزيع، القاهرة 1993، ص 384-384.

متخذة من نص محمد غنيمي هلال أنموذجا يحتذى به، مصدرا رئيسيا ترتكز غليه بإسراف كبير تارة، وتعتمده في جانبها النظري دون ذكر الإحالة إليه تارة أخرى، ويمكن في هذا المجال أن نذكر العديد من الكتب التي ظهرت بهذه الصفة، منها كتاب (الأدب المقارن والأدب العام لريمون طحان)، و(الأدب المقارن لطه ندا) ، و(النظرية التطبيقية في الأدب المقارن لإبراهيم عبد الرحمان) ودراسات في الأدب المقارن لبديع محمد جمعة.

1-2- تقلي المدرسة الأمريكية:

خرجت الدراسات المقارنة بواسطة الرؤية الأمريكية عن حدود الدراسات التاريخية المقارنة التي تصدر عن العلاقات الأدبية بين الآداب المختلفة تأثيرا وتأثرا.

ومن هنا يرى بلوك ضرورة احداث التغيير فيه طابع هذه الدراسات من خلال قراءة ترتكز إلى الوعي بجزئية التأثير من كيفية حدوث الأدب، فليس هناك كاتب بمنأى تام عن تأثيرات الآخرين على أن حركة التأثير يجب أن تتغير على وفق الرؤية الجدية فيصبح الاتجاه من عمل في إلى آخر يدل على كاتب على آخر.[1]

ومن هنا تعد إشارة د. صفاء خلوصي في كتابه (دراسات في الأدب المقارن والمذاهب الأدبية)، الصادر عام 1957م[2]، إلى المدرسة الأمريكية، أول إعلان عربي عن وجود مدرسة في الأدب المقارن تخالف المدرسة الفرنسية في منهجها وعلى الرغم من اختصار د. خلوصي في إشارته هذه على تعريف بسيط برؤية المدرسة الأمريكية إلا أنها تعد مؤشرا على انفتاح مبكر للمتلقي العربي باتجاه الجديد وقبول وجوده، ولكن ذلك م يحظ بمتبع من قبل الباحث نفسه ولا الباحثين العرب الآخرين.

[1]- ينظر: هاسكل بلوك: مفهوم التأثير في الأدب المقارن- دراسات في الأدب المقارن، تر: محمد الخز علي، الأردن 1995، ص 44.

[2]- صدر عن مطبعة الرابطة: بغداد، ويرد تاريخ طبعة الكتاب على الغلاف على 1958 بينما يرد على الصفحة الأولى من عام 1957.

رأى د. حسام الخطيب في رينيه ويلك انه يمثل اتجاها اطلاقيا، تكون لدراسة المقارنة فيه مفتوحة على علاقة الأدب بالفنون والمعارف الإنسانية المختلفة، ولا يرى هذا الاتجاه حدودا فاصلة بين مناهج دراسة الأدب، فمحاولات الفصل بينها مصطنعة وغير مجدية أما التداخل الواضح والكبير في ما بينها، ويجعل الخطيب من أراء ويلك هذه سببا يقف وراء بقاء الأدب المقارن في الثقافة الأنكلوسكسونية رجراجا دون مفهوم وحدود واضحة، الصوت تحت رؤية المفتوحة في دراسات وأبحاث نقدية متفرقة، لا تكاد تجمعها رؤية أو منهج محدد، ويمضي الخطيب على أبعد من ذلك فيجعل من أراء ويلك هذه سببا في عزوف الجامعات البريطانية عن إدخال مادة الأدب المقارن ضمن مقرراتها الدراسية.[1]

يعد الخطيب مقالة ريماك مهمة ببسطها خطوطا لما يسميه "النظرية الأمريكية في الأدب المقارن" فيذكر تعريف للأدب المقارن، ويقارن بينه وبين مفهوم المدرسة الفرنسية، مبرزا الاختلاف الجوهري في ما بين المفهومين؛ إذ لا يشترط ريماك الاستناد إلى الوثائق والبيانات الملموسة في دراسة التأثير والتأثر واعتمادها أساسا في الدراسة المقارنة، عامدا إلى التأكيد على توسيع منطقة المقارنة لتشمل مختلف أنواع التعبير الإنساني كالفنون والمعارف.[2]

ومن جهة أخرى، انتقل د. خطيب إلى عرض مضامين بحث ريماك الذي قدمه في المؤتمر الثمن للرابطة الدولية الأدب المقارن، حيث وضح قيم المشكلات التي تواجه الأدب المقارن، أهمها مشكلة عدم قدرة الباحث على الإلمام بالاختصاصات التي تعالج الأدب المقارن، حيث لا يستطيع الباحث أن يباشر في بحثه بشكل يتجرد من ذوقه وأسلوبه الخاص باعتبار أنه خاضع لمنهج محدد.

أما الدكتور عبده عبود فبعد أن يستعرض أراء المدرسة الأمريكية من خلال مقالات رينيه ويلك في توسيع حقل الدراسة المقارنة. يضع تساؤلا قلقا حول مصير الأدب المقارن وإذابته- بحسب الرؤية الأمريكية في ميدان النقد الأدبي، وإفقاده لهويته وخصوصيته فرعا من فروع الدراسة

---

[1]- علي مجيد داود البديري: الأدب العربي المقارن في ضوء جمالية التلقي، (الدراسات النظرية المقارنة)- أنموذج، ص 101.
[2]- المرجع نفسه، ص 101.

الأدبية ومنهجا خاصا له دوده ومقوماته؟ ثم يضم إجابة بمثابة موازنة لمعادلة صعبة، يستند بها إلى رينيه ويلك، وهي أن النقد الأدبي يجب أن يكون مقارنا، يتجاوز الحدود اللغوية والقومية للآداب، والأدبي المقارن يجب أن يكون نقديا قارب النصوص الأدبية كبنى جمالية، ولا كمؤثرات ووسائط.فالأدب يتجاوز بطبيعة الحال حدود اللغات، ولذلك يجوز أن يقارن إلا بصورة مقارنة وهو بنى وقيم جمالية، وذلك لا يجوز أن يقارن إلا بصورة نقدية.[1]

إلا أن د. شلش يبتعد عن الواقع كثيرا حينما قف مشخصا الأسباب التي تقف وراء الحماس العربي في تلقي منهج المدرسة الأمريكية[2]. حيث يرى أن ذلك الحماس لم يكن من باب السعي كل الأزمة المنهجية التي وقع فيها الأدب المقارن بقاءه عند حدود الرؤية الفرنسية وإنما كان انشغالا لفراغ منهجي، فالذين تسامحوا مع الحل لأمريكي على حد تقدير د. شلش لم يكونوا قد ارتبطوا بالتجربة الفرنسية أصلا، فهم لم يدرسوا الأدب المقارن في الجامعات الفرنسية و لم يكونوا من المروجين للمفهوم الفرنسي في جانبه النظري والتطبيقي ولعل ما يكفينا للرد على ذلك الإشارة إلى جهود د. حسام الخطيب حيث كان من أوائل الناقلين للرؤية الأمريكية في الأدب المقارن حيث قام بترجمة مقال لهنري ريماك التأسيسية، وكتب عرضا في لمحتواها، وبشكل يلمس فيه قبولا وترويجا لهذه المدرسة. إضافة إلى أن الخطيب يعدمن المقارنين الأكثر انفتاحا على التطورات والتحولات النوعية الحاصلة في المناهج، والتي لها صلة بطبيعة الأدب المقارن ومستقبله، ولكننا نجد أن دراسة الخطيب التطبيقية الأولى تتخذ من رؤية المدرسة الفرنسية منهجا لها إذ حملة أطروحته للدكتوراه عنوانا واضحا ودالا على ذلك وهو "سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة الصورية"، مثله د. عز الدين المناصرة الذي جاءت أطروحته للدكتوراه "المؤثر المشترك، دراسة مقارن في المقاومة الشعرية العالمية" متخذا من المنهج التاريخي الفرنسي منطلقا لها في المقارنة، حيث

---

[1]- عبده عبود: الأدب المقارن، مشكلات وآفاق، ص 50.

[2]- ينظر: علي شلش: الأدب المقارن بين التجربتين الأمريكية والعربية، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ط1، 1995، ص 156-157.

أثبت في دراسة أن التشابه فيما الشعر العالمي المقاوم-الشاعر البلغاري أنموذجا والشعر الفلسطيني جاء بسبب ما أسماه بالمؤثر المشترك المتمثل بالشعراء (ماياكوفسكي، لوركا، ناظم حكمت).[1]

ويبين الدكتور شلش أسباب تأخر التلقي العربي للتجربة الأمريكية راجع إلى التفاوت في ما بين الباحثين العرب في المتابعة والاهتمام للمناهج الجديدة والرغبة في التعريف بها، ويضيف إلى ذلك عاملا سياسيا ساعد على تشكل هذه الظاهرة، وهو اندراج هذا الموقف الأدبي العربي في مجمل المواقف العدائية من أمريكا، وكأن هذا بعد تأسيس إسرائيل 1948، وهذا ما ساعد في تأخر التلقي العربي للمدرسة الأمريكية.

ويحاول د. شوقي البكري أن يحقق استيعابا أمثل لمقولات المدرسة الأمريكية، فيعمد في مقالته (مناهج البحث في الأدب المقارن)[2]، إلى عقد مقابلة بين المدرستين الفرنسية والأمريكية، فيعمد في مقالته أوجه الاختلاف في المنهج ومجال الدراسة من خلال عرضه لخمسة تعريفات للأدب المقارن منقولة من مصادر مختلفة، ويتطرق بعدها بشكل محدد إلى أمور يحاول أن يبرز من خلالها ملامح من الرؤيتين في الأدب المقارن وهذه الأمور هي:

1) الموضوع المستفاد أو الخرافة السائدة.
2) الأجناس والقوالب الفنية.
3) الحركات الأدبية والحقب المتعاقبة.
4) علاقة الأدب بغيره من العلوم والفنون
5) الأدب باعتباره ميدانا تظهر فيه نظريات معينة تتناول طبيعة الأدب ونقده.

دون أن ننسى كتاب د. مناف منصور "مدخل إلى الأدب المقارن" الصادر عام 1980، فهو يعد من أهم نماذج التلقي العربي للمدرسة الأمريكية، حيث سجل د. حسام الخطيب

---

[1]- ينظر: حفناوي بعلي: النقد الثقافي المقارن في الخطاب الأردني الفلسطيني : ذاكرة المستقبل وأفاق العالمية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، جدارا للكتاب العالمي، ط1، عمان- الأردن 2008، ص 125-126.

[2]- ينظر: مجلة عالم الفكر الكويت، مج11، ع3، أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر 1980، ص 11-40.

ملاحظات مريعة فيما يخص هذا الكتاب فهو برأيه (يقدم مشروعا كبيرا للنهوض بالدراسة المقارنة في لبنان)[1] والحقيقة أن قارئ هذا الكتاب لا يخرج بجديد يذكر في المستوى النظري، فكل ما قدمه سبق ذكره.

إن الذي دفع حسام الخطيب إلى وصف هذا الكتاب بأنه علامة من "علامات التنوع والانفتاح" في الثمانينات من القرن المنصرم، وهو محاولة المؤلف فيه والخروج من حدود المدرسة الفرنسية نظريا، والانفتاح على جديد المدرسة الأمريكية في الدرس المقارن، وهو أمر سبقه إليه د. محمد عبد السلام كفافي.[2]

يؤشر د. سعيد علوش على الباحثين العرب المقارنين استغراقهم في تناول القضايا العامة، المتعلقة بالأدب المقارن، دون مناقشة أو معالجة الإشكاليات الأساسية التي تلازم طبيعة تقديم هذا الدرس للمتلقي العربي وأسباب عدم تقدمه، ويرجع ذلك إلى ما أسماه بـ "الأزمة في بنية الأدب الوطني والقومي" حيث أن هذا الأدب مازال يبحث عن معالمه وخلاصاته غير المتحققة، والتي يعد تحقيقها شرطا وقاعدة يسند إليها الدرس المقارن وينطلق منها للمقارنة بينها وبين الآداب الأخرى.[3]

والملاحظ أن هذا الرأي متأثر بطبيعة التلقي العربي للنماذج الأدبية الغربية الحديثة وهذا ما دفع الدكتور علوش إلى البحث عما أسماه بـ "الخلاصات" للاستفادة مما أنجزته الثقافة الغربية في حداثتها. وفي رأينا المتواضع ليس هناك من أزمة كبيرة كان يعيشها الأدب الوطني والقومي إلى الدرجة التي يكون فيها فاقدا لمعالمه الخاصة في ان يكون ميدانا أو طرفا في دراسة أدبية مقارنة تبحث عن نقاط اشتراكه أو تقاطعه مع الآداب الأخرى.

[1]- حسام الخطيب: آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، ص 258.

[2]- علي مجيد داود البديري: الأدب العربي المقارن في ضوء جمالية التلقي، ص 104.

[3]- ينظر: سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، دراسة منهجية، ص 215.

وعلى ذلك يمكن لنا أن نخرج بملاحظات عامة تخص تقييم الباحثين العرب لواقـــع الأدب العربي المقارن في الدراسات الأدبية، وتتجلى في أن أغلب الدارسين يجعلون مسألة تطوير المنـــهج المقارن مرتبطا بمساحة تطبيقية، فهو حينما يتناولون بقراءة تاريخية مراحل ظهور ونمو هذا الأدب في الدراسات العربية ويؤشرون خللا في مساحة الآداب المقارنة في الجانـــب التطبيقـــي، كخلـــو الدراسات التطبيقية من المقارنة بين الآداب العربية والآداب العبرية والتركية والصينية والإيطاليـــة وغيرها، ويعدون ذلك نقصا يؤثر بشكل سلبي في واقع الدراسات العربية المقارنة، دون أن يناقشوا سؤال الكيفية التي تتم بها المقارنة في ظل التطورات الحاصلة في المعرفة ووسائل انتشارها والأثـــر المفترض لذلك على منهج الأدب المقارن.[1]

بعبارة أخرى، إن الباحث العربي يؤشر ازدهارا في الأدب المقارن عموما إذا ما اتســـعت رقع المقارنة بين الآداب المختلفة تطبيقيا، فاستنفار البعد التطبيقي في محاولة تحديد العلاقة أو تحديثها مع المنهج الثابت لا يمكن عده تحققا ناجحا للتجديد والإضافة، ذلك أن فعل التجديـــد لا بـــدأن يشمل منهج وطرائق المعاينة على حد سواء كي يحقق الأدب المقارن لنفسه مساحة امتداد فعلية.

ويمكن لكتاب سعيد علوش (مكونات الأدب المقارن في العالم العربي)[2]، أن يمثل هذا المحنى خير تمثيل، هذا الكتاب في الأصل عبارة عن أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه مـــن جامعـــة السوربون بإشراف جاك فوارين، كان هذا الكتاب محطة مهمة توقفت فيها القراءة العربية والتلقي العربي لفحص مكونات ومصادر الأدب العربي المقارن دون الوقـــوف عنـــد حـــدود وصـــف الإشكاليات وتأويل أسبابها.

يذكر د. علوش في تقديمه للكتاب سببين دفعاه لمعالجة هذا الموضوع الذي يصفه بالخطير، فالسبب الأول يتمثل في غايته رسم خريطة لمرحلتين مهمتين من سيرة الأدب العربي المقارن همـــا: المرحلة النهضوية ويصفها بالعفوية والمستمرة إلى وقت الدراسة، والمرحلة الثانيـــة هـــي الجامعـــة

[1]- سعيد علوش: مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، الشركة العالمية للكتاب، ط1، الدار البيضاء، بيروت 1987، ص

[2]- علي مجيد داود البديري: الأدب العربي المقارن في ضوء جمالية التلقي، ص 105.

الأكاديمية، وتعتمد إلى حد ما منطلقات منهجية في دراساتها، أما السبب الثاني فهو محاولة إيجـــاد تأويل لهذه الظواهر التحديثية من خلال فهم واستيعاب تاريخ الأفكار الأدبية المعاصرة في إطـــار تأويلي يوضح الظواهر في صورة كلية إنسانية. ويلفت النظر إلى إدراكه لخطورة وصعوبة وضعية الأدب المقارن العربي، ويؤكد على إحساسه بضرورة خروج التلقي العربي من دائـــرة الانبـــهار والفعل الاستهلاكي إلى حدود علمية لهذا الأدب، ويتجاوز الأمر ذلك عند علوش على ما يشكل طموحا كبيرا حينما يقول: "إن هدفنا منذ البداية لم يكن إعادة الاعتبار إلى الأدب المقارن كعلـــم لنخبة جامعية، بل أن يجعل منه منهجية أساسية في دراسة مكونات الأدب العربي المعاصر".[1]

يذكر الكاتب أيضا طبيعة الإلحاح المستمر لكثير من مقدمات كتب المنتخبات من الأدب العربي المعاصر على دور تأثيرات الآخر الغربي في نقل هذا الأدب إلى معنى المعاصرة والنهضة دون الاعتماد في معاينة هذه الظاهرة على قراءة تأويلية تضعها في إطار أدبي مقارن والاقتصار في ذلك على رؤية تعمل على تنميط الأنا الغربية وإسقاط رؤاها وطروحاتها على آداب الدول الصـــغرى بتأثير عملية مثاقفة ضاغطة أو بذريعة القول بـــ "عالمية أدبية" تفترش ساحة دولية مفتوحة.[2]

وعليه فإن كل هذه العوامل دفعت الدكتور علوش إلى أن يبدأ في رصد مكونـــات الأدب المقارن في العالم العربي بمعالجة أبحاث مثلت موضوعاتها مفاصل مهمة ومؤثرة في التاريخ الثقـــافي العربي عموما وفي الأدب العربي المقارن خصوصا.[3]

1-3- تلقي المدرسة السلافية:

يتأطر التلقي العربي لرؤية المدرسة السلافية في الأدب المقارن في مستوى متواضع جـــدا، حيث يأخذ القرارات فيه شكل الدفاع عن وجود رؤية ثالثة في نظرية المقارنة، مغيبـــة ومهملـــة، وهي تناهض المركزية الغربية التي سعت الدراسات الغربية المقارنة إلى تكريسها وتنميتها.[4]

---

[1]- سعيد علوش: مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، ص 08.

[2]- ينظر: علي مجيد داود البديري: الأدب العربي المقارن في ضوء جمالية التلقي، ص 106-107.

[3]- ينظر: عبدو عبود: الأدب المقارن، مدخل نظري ودراسات تطبيقية، ص 446.

[4]- علي مجيد داود البديري: المرجع السابق، ص 107.

من هنا نرى أن استقبال الأدب المقارن العربي لهذا الخطاب كان ضعيف وشبه مهمل وهذا راجع على هيمنة النموذج الفرنسي على دراسات الأدب. وعليه يمكن أن نحدد قراءة الدكتور سعيد علوش كأول تلق عربي مستوعب لهذه المدرسة، فقد خصص لغرض أراء بعض أعلامها فصلا من كتابه "مدارس الأدب المقارن- دراسة منهجية"، معتمدا على الأفكار التي طرحتها الأعمال المشاركة للباحثين من هذه المدرسة في المؤتمر الخامس للجمعية العالمية للأدب المقارن في بلغراد 1967. والندوة العالمية للأدب المقارن في بوخاريست 1974، فقد دعت هذه المؤتمرات إلى إعادة تقويم التقاليد الثقافية، ومنه نقل د. علوش ما يوضح توجه اهتمام هذه المدرسة إلى البحث في مجالات الفن والأدب والفولكلور ومناقشة إشكالية العلاقة بين الأدب المقارن والعلوم الاجتماعية المعاصرة، جاعلا برأيه... إعلانا تاريخنا عن المبادئ الأساسية التي قامت واستمرت عليها المدرسة السلافية.[1]

إضافة إلى ذلك تأتي طروحات "بالا شوق" و"تروستشكو" و"نار كيربير" متوافقة مع طروحات الإيديولوجية والمادية للمدرسة السلافية.

ومن جانب أخر، ما يمثل تلخيصا وفيا لموقف المدرسة السلافية من المدرستين الفرنسية والأمريكية باعتقاد الدكتور علوش هو مقالة ألكسندر حيث قسم الدرس المقارن على ثلاثة ميادين وهي:[2]

1) العلاقات المباشرة بين الآداب ذات المناخ الوطني، بعناصرها المحددة ومشاكل التأثيرات والمصادر.
2) دراسة الموازنات خارج العلاقات والتأثيرات والمصادر.
3) دراسة الطوابع الخاصة لمختلف الآداب كموضوع للمقارنة.

---

[1]- ينظر: سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، دراسة منهجية، ص 130.
[2]- المرجع نفسه، ص 133.

على الرغم مما تتسم به هذه الآراء من وضوح في الرؤى، إلا أن د. علوش يـرى عـدم وجود مدرسة سلافية تتميز بانسجام أراء أعلامها، وتمثلت خصوصيتها الواضحة، وأن حقيقتها ما هي إلا إنتاج يعود إلى مرجعيات فكرية وسوسيولوجية محددة.[1] غير انه يذكر في موضـع أخـر، يقارن فيه منجز المدرسة السلافية على عكس المدرسة العربية ما يناقض موقفه هذا؛ إذ يقول "يمكن القول: إن المدرسة السلافية على عكس المدرسة العربية استطاعت أن ترسخ تقاليد درس مقارن، لا هو فرنسي ولا هو أمريكي، ولكنه الدرس الذي يستجيب للفضاء الزماني الاشتراكي العلمي، بعيدا عن الشبه والنمطية، وهي مكاسب ما كان في الإمكان تحقيقها، لولا توافر الإرادة والعلم.[2]

يندرج هذا النوع من التلقي العربي في سياق المطابقة أيضا رغم محاولته الانفتاح علـى التنـوع والتطور الحاصل في خطاب المقارنة عبر مدارسها المتعددة، ذلك أن هذا التلقي العـربي لم يكـن استجابة لمتطلب تقاضي عربي ملح، وإنما جاء تذييلا لتلق آخر سابق، ولكي تتضح صورة ما نقوله أكثر، فإننا نحيل على ترجمة كتاب ألكسندر ديما "مبادئ علم الأدب المقارن" والذي لم يترجم إلى العربية بعد، صدر في بوخاريست عام 1869 وطبع مرة ثانية عام 1872 وترجم على الروسية عن طبعته عام 1877 وفي 1987 قام د. محمد يونس بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية عن الطبعة الروسية المذكورة.[3]

وإذا ما انتقلنا إلى صور التلقيات اللاحقة لقراءة د. علوش فإننا نجد الإخفاق ذاته من دون أن يكون للتحولات الكبيرة والمهمة التي حصلت في ميدان الترجمة والمثاقفة مع الآخر أثر في ذل،

[1]- ينظر: سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، دراسة منهجية، ص 127.

[2]- المرجع نفسه، ص 138.

[3]- ينظر: ألكسندر ديما: مبادئ علم الأدب المقارن، تر: محمد يونس، مر: عباس خلف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1987، 1 ص 3.

فمع الأهمية البالغة لورقة د. فؤاد مرعي المقدمة إلى المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن المنعقد في دمشق عام 1986.[1]

الجدير بالذكر القراءات المتأخرة تطورا في عروضها لطروحات المدرسة السلافية نذكر على سبيل المثال قراءة الدكتور عبدو عبود في كتابه: "الأدب المقارن مشكلات وأفاق" وهنا عرض المؤلف الأصول الفلسفية التي تسند إليها المدرسة السلافية في مقاربتها لأدب المقارن ومدى اختلافها مع المدرسة الفرنسية المتشددة إلى الفلسفة الوضعية، ثم بين أراء الباحثين أهمهم جيرمونسكي في التشابهات النمطية، مؤصلا لذلك بآراء الماركسي جرورج لو كانش في دراسته للرواية ووضعه لنظرية (التنميط) بالبنية للبطل الروائي الواقعي.[2]

وأيضا قراءة الدكتور جميل نصيف التكريتي، حيث يطرح في أكثر من موضوع في كتابه "الأدب المقارن رأي المدرسة السلافية، منها علاقة الأدب المقارن القومي والأدب العام، ونشأة الأدب المقارن وتطوره في العالم وغيره، وقد علمت في ذلك على كتاب الكسندر ديما، أكثر من غيره، ورأى في ظهور هذه المدرسة عاملا يساعد في تقارب المدارس المتعارضة بعضها مع بعض.[3]

2. التلقي العربي المغاير لنظرية الأدب المقارن

2-1- انكسار النموذج: الدعوة إلى رؤية عربية في الأدب المقارن

انطلق الباحثون العرب في إفراز وطرح وجهة نظر جديدة في الأدب العربي المقارن، تمثل ذلك في ضرورتهم للخروج من دائرة التأثير وهذا ما دعا إلى تأسيس نموذج وتجربة جديدة في منهج المقارنة وإعادة تنظير التعامل مع الأفكار الجديدة.

يرى حسام الخطيب أن معظم المقترحات التي طرحت لتجاوز الأزمة المنهجية للأدب المقارن تتضمن إلغاء أو تحويلا لنسق الأدب المقارن باتجاه أنساق أخرى من البحث الأدبي،

[1]- ينظر: فؤاد مرعي: في نظرية الأدب المقارن، مجلة المعرفة السورية، ع 295، أيلول 1986،ص 176-179.

[2]- ينظر: عبده عبود: الأدب المقارن مشكلات وأفاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1999، ص 40-47.

[3]- ينظر: جميل نصيف التكريتي: الأدب المقارن، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد 2005، ص 177-18.

كالأدب العالمية والأدب العام، ووعي منه بأهمية ما أنجزه الأدب المقارن وجديته، ويؤكد الدكتور الخطيب على ضرورة انتباه المقارنين إلى وجود إجماع كبير على ضرورة الانفتاح باتجاه التطوير ومراعاة الأفق الإنساني في الأدب المقارن.[1] ويرى أيضا في مسالة التفاعل مع الأخر حافزا للشعوب على معرفة الذات ودورها في الحضارة الإنسانية، والوعي بخواصها النوعية، وتنميتها وتطويرها. ومن هنا تأتي مساهمة في طرح ما يسميه بتعريف عربي موسع لنظرية المقارنة.

من خلال هذا التعريف نلاحظ أن الدكتور يحاول أن يبين لنا إشراك الأدب المقارن مع التاريخ الأدبي، باعتباره يهتم بتبادلات الآداب وامتداداها خارج الحدود الجغرافية واللغوية والقومية، كما أنه يفيد في دراسة الصورة الأدبية والأسلوب وموسيقى النص.

في بداية القرن العشرين ونهاية القرن التاسع عشر، لم تعد التأثيرية التي سادت في فرنسا ملائمة لمستجدات العصر، ويشكل هذا التوسع في منهجية المقارنة أي تهديد لعملية الأدب المقارن وموضوعيته المنهجية، بل إثراء تطويرا وانتماء لفضاء الثقافة الانسانية المشتركة. وواضح أن الخطيب يسعى إلى صناعة رؤية توفيقية، تفيد من شروط المقارنة عند المدرسة الفرنسية، وتركيزها على مسألة التأثير والتأثر، ومن انفتاح المدرسة الأمريكية في مجال المقارنة على النصوص والظواهر غير الأدبية، ويرى في توسيع البحث تاريخيا، تجاوزا لضيق النظرة التقليدية التي اتسمت بها الدراسات المقارنة السابقة في عيها إلى تكريس فكرة المركزية الأوروبية في الإبداع الأدبي، وعلى وفق ذلك يمكن برأي الخطيب تركيز البحث المقارن على بيان التأثيرات العربية الإسلامية على التاريخ الأدبي والثقافي للعالم (في العصور الماضية)، وستؤهل مثل هذه البحوث الأدب العربي المقارن لانفتاح كبير، على ميادين بحثية غنية بالتفاعل المدهش بين الأدب العربي والآداب الأجنبية

[1]- ينظر: حسام الخطيب: الأدب المقارن عربيا وعالميا، ص 77-78.

الأخرى ويمكنه من تفعيل التواصل الإنساني الثقافي، بعيدا عن التبجح القومي، وضيق الأفق من خلال نظرة معتدلة.[1]

بمفهوم آخر نرى أن اقتراح لخطيب ينحصر في توسيع ميدان المقارنة والاهتمام ببيان الحضور المؤثر للثقافة العربية في الآداب والثقافات الأخرى، وهنا ما مهد إلى ميلاد واقع جديد للأدب العربي المقارن.

يتفحص د. عبده عبود جملة من الأسباب التي تقف برأيه وراء بقاء الأدب المقارن ظاهرة هامشية في الدراسات الأدبية في الوطن العربي، منها ما يخص الواقع النظري للأدب المقارن، فقد تأخرت الأفكار المقارنية من قبل النقد الأدبي العربي كثيرا، فهو لم يتم إلا في عصر النهضة (أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين) وحتى حين بدأ الإطلاع على منهج المدرسة الفرنسية فإن الأدب العربي المقارن لم يكن يمتلك حضورا مؤثرا، فقد بقي تابعا لآراء هذه المدرسة في نماذجه التطبيقية، على الرغم من اطلاع بعض المقارنين العرب على آراء المدارس المقارنية الأخرى، وإعلان بعضهم تبنيها نظريا، ولكن هذا الاطلاع اتسم في معظمه بضعف التعامل والتواصل العلمي ما بين الباحثين المقارنين العرب، وخصوصا فيما يتصل بترجمة واستيعاب ما استجد من الاتجاهات النظرية والبحوث التطبيقية التي تلت المدرسة الفرنسية في الظهور، فقد كان د. عبده عبود موفقا إلى حد ما في تحديد أسباب ضمور الدرس العربي المقارن وضعفه ونرى أن هذه الأسباب تمتد إلى ما هو أعمق من ذلك بكثير، فلا يخفى أن ازدهار الأدب المقارن في بعض دول العالم عائد إلى طبيعة نشوء هذا الدرس فيها ومرتبط بنسق ثقافي خاص، هو حركة تطور الحياة الثقافية وانفتاح الحقول المعرفية المختلفة على بعضها.[2]

[1]- ينظر: علي مجيد داود البديري: الأدب المقارن العربي في ظل جمالية التلقي، ص 114.

[2]- : ينظر: عبده عبود: الأدب المقارن- مدخل نظري ودراسات تطبيقية، جامعة البعث، مديرية الكتب والمطبوعات، 1991-1992، ص 436-439.

أما عبد الحميد إبراهيم فإنه يقترب كثيرا من أراء د. حسام الخطيب، ويصل في بعض المواضع إلى حد المطابقة معه، فيوافقه في القول بضرورة سعي الدراسة المقارنة إلى إبراز تأثير الأدب العربي في غيره من الآداب في العصور السابقة، ويعد هذا الأمر استكمالا لصورة الأدب العربي ولمنهج المقارنة، ذلك أن هذا التوسيع يحقق هدف قوميا، ويشعر الإنسان العربي بامتداده الثقافي في تاريخ الحضارات الإنسانية المختلفة.[1]

ويرى إبراهيم عبد الحميد أن بإمكان الدراسة المقارنة أن تستعين بالنقد الأدبي في الكشف عن العلاقات بين النصوص إضافة إلى البراهين العلمية التي يتم بها إثبات هذه العلاقات، إلا أنه يجعل الخطوة الأولى في المقارنة تبدأ من النص المدروس، من خلال ما أسماه بـ "الاستشعار الفني" الذي يجب أن يتمتع به الباحث المقارن ويستخدمه في تشكيل افتراضه المبدئي بوجود علاقة ما يحملها النص المدروس مع النص أو الأدب الآخر، حيث يدفع هذا الافتراض الباحث إلى الخطوة الثانية وهي إثبات هذه العلاقة عن طريق البراهين العلمية، ويجعل هذا الاستشعار من الأدب المقارن علما يعتمد المستقبل فيه على موهبته وحساسيته الفنية في معاينة الفروق الدقيقة بين النصوص الأدبية المدروسة.[2]

ويحدد إبراهيم المبادئ التي يقوم عليها تصوره عن أدب مقارن من منظور عربي وهي:

1. البحث عن جذور الأدب المقارن داخل الأدب العربي.
2. دراسة الأجناس الأدبية مع واقع تاريخ الأدب العربي.
3. الاهتمام بتأثير الأدب العربي في غيره من آداب الشعوب الأخرى.
4. البحث عن مذاهب أدبية داخل الفكر العربي.[3]

---

[1]- ينظر: عبد الحميد إبراهيم: الأدب المقارن من منظور الأدب العربي- مقدمة وتطبيق، دار الشروق، ط1، القاهرة 1997، ص 25.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 20.

نلاحظ من خلال هذه المقومات أن د. إبراهيم يحاول أن يبين أن الباحث لا يقدم مفاهيم إجرائية مختلفة عما قدمته المدارس الغربي. ومن جانب آخر يعمد الباحث إلى تصنيف أفق الهدف المعرفي في الأدب المقارن، طالما بقي مرتبطا بخدمة الهدف القومي، مفرطا في كثير من المعطيات المعرفية التي يمكن أن تقدمها الدراسة المقارنة للباحث من فهم إمكانيات الذات وضرورة التواصل مع الآخر.

يخصص الدكتور جميل نصيف التكريتي لدعوة تحقيق الخصوصية العربية في هذا الميدان، حيث ينوه في التمهيد لرؤية عن طبيعة منهج الأدب المقارن المتسمة بالتغيير والتبديل من وقت لآخر، مما يشير إليه ذلك من تمتع هذا الميدان بقوة علمية جاذبة للباحثين والنقاد في مختلف بقاع العالم، ويمثل هاذ التعبير المتمخض عن المناقشات والجدل بين المقارنين عاملا داخليا غليه عملية الصيرورة المستمرة لمنهج الأدب المقارن في مقابل عامل آخر هو العامل الخارجي الذي يتجسد فيما تأتي به الرؤى الجديدة من توجهات جديدة واقتراحات تطويرية، حيث استند إلى منهج المدرسة السلافية في تحديده للعوامل الثقافية المختلفة التي تقف وراء التشابه أو الاختلاف في وجهات النظر الخاصة بمنهج المقارنة بين الباحثين المقارنين، فيرى ان التشابه النسبي في الظروف التاريخية والفكرية والاجتماعية لبعض البلدان هو الذي يسهم بشكل كبير في تقارب آراء المقارنين ووجهات نظرهم.[1]

نرى أن د. التكريتي يحاول النهوض بواقع الأدب المقارن في العالم العربي، ويريد تهيئة سياق ثقافي ملائم لهذا النهوض، حيث جعل من المؤسسة الأكاديمية نقطة انطلاق في تحقيق ذلك. ولا تختلف مع الدكتور التكريتي حول أهمية إعادة النظر في واقع الدرس المقارن في المؤسسات العربية الأكاديمية الاهتمام بها.

[1]- ينظر: جميل نصيف التكريتي: الأدب المقارن، ص 209-229.

يرى الدكتور التكريتي أنه بإمكان الباحث المقارن العربي أن يضع هيكلا عاما لمنهج تطبيقي يهتم بدراسة الدور الفاعل والايجابي المؤثر للأدب العربي في الآداب الأجنبية الأخرى من أجل إعادة النظر فيما قدمته الدراسات الاستشرافية، وتصحيح الكثير من نتائجها الخاطئة والمعرضة أحيانا، كما يمكن وفق هذا المنهج الجديد إعادة قراءة جوانب من تاريخ الأدب العربي، ولاسيما في عصر النهضة العربية في القرن التاسع عشر والحقبة التي تليها، إضافة إلى ميادين بحثية كثيرة كالأنواع الأدبية ومحاور تخص الأفكار والأساليب والموضوعات وغيرها مما يجسد محرضا ودافعا للباحثين المقارنين العرب في أن يسعوا إلى إغناء هذا المخطط المنهجي العام بالتفاصيل الأزمة لإنجازه.[1] أما د. أحمد محمد علي منظوم فينوه ي التقديم لمشروعه الذي عنونه بـ "التأجيل لمدرسة عربية"، باختلاف منهجه وعمله هذا عما سبقه من محاولات في الميدان ذاته، فهو لا يتوقف عند توصيف الدرس العربي المقارن في فضائه الجغرافي وحقله الثقافي، وإنما يتجاوز ذلك إلى التنظير لرؤية عربية تهدف إلى تأجيل منهج عربي في المقارنة يحقق دورا إيجابيا فاعلا في ميدان التنظير، مبتعدا عن التكرار لمقولات الآخرين والترديد لها[2]، ويقسم الباحث عرضه لمشروعه إلى أربعة مراحل هي:

1. البواعث.
2. المقومات.
3. الأبعاد النقدية في المقارنة.
4. الفائدة.

يبدأ الباحث مشروعه بذكر بعض البواعث الخارجية والداخلية لإقامة مدرسة عربية في الأدب المقارن، حيث سجلت كل مدرسة من مدارس الأدب المقارن (الفرنسية والأمريكية والسلافية) جملة من المآخذ و لم تسلم أي مدرسة من هذه السلبيات وفي المرحلة الثانية من عروض

[1]- علي مجيد داود البديري: الأدب العربي المقارن في ضوء جمالية التلقي، ص 119.

[2]- ينظر: أحمد محمد علي منظوم: في الأدب المقارن، نحو تأصيل مدرسة عربية في المقارنة، مكتبة الآداب، ط2، القاهرة 2008، ص 114-132.

لمشروع يلتمس ملامح جذور المقارنة في الثقافة العربية عند (الجاحظ)، الحادتمي وحازم القرطاجني، في النقد العربي القديم، وعند (الفرابي وابن سينا وابن رشد) في الفلسفة الإسلامية.[1]

وفي الدراسات العربية الحديثة فإن البحث يؤشر لعباس محمود العقاد وفخري أبو السعود، ويرى أن الدعوة إلى استحداث منهج عربي في المقارنة من قبل بعض المقارنية (د. غنيمي هلال)، هذه الجهود المتزاوجة ما بين القديمة والحديثة مع المدرستين الفرنسية والأمريكية.

تأسيسا على ذلك يقدم د. حنظور تعريفه للأدب المقارن بأنه "ذلك العلم الذي يدرس الظواهر والأمثال الأدبية في أدب أمة ما، في تشابهها واختلافها وتفاعلها، مع غيره من الآداب خارج الحدود اللغوية والبيئية، ومحاولة تفسير نتائجها والتعرف على خصائصها الذاتية والوافدة".[2]

اتفق الدكتور حنظور مع د. الخطيب في موقفه ورؤيته في تقديم حالة وسطية للدراسة المقارنة بين الرؤيتين الفرنسية والأمريكية، فهي تهتم بالجوانب التاريخية المتعلقة بالتأثيرات ووثائقية الصلة بين طرفي المقارنة وكذلك تهتم بالجوانب النقدية المتعلقة بالخصائص الفنية الآداب ...

وهكذا نجد أن مشروع أحمد علي حنطور يسعى إلى وضع تحديدات منهجية لرؤية وسطية تفيد أن رؤيتي المدرسة الفرنسية والأمريكية وهي رؤية كانت قد سبقه إلى القول بها د. حسام الخطيب ود. عبد الحميد إبراهيم، ولا نرى مبررا لإهمال آراء المدرسة السلافية، بعدما ترجمت أبرز كتب منظريها (كتابي ألكسندر ديما، وحيدومنسكي) كما أن الباحث لم يوضح موقف نظريته المقترحة من كثير من المناهج النقدية الحديثة التي تقترب في منطقة انشغالها من الأدب المقارن كالنقد الثقافي.[3]

[1]- ينظر: أحمد محمد علي منظوم: في الأدب المقارن، نحو تأصيل مدرسة عربية في المقارنة، ص 81-113.
[2]- المرجع نفسه، ص 122.
[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 127.

2-2- مشروعان في تجديد منهج المقاربة

حاول كل من د. عز الدين المناصرة ود. أحمد عبد العزيز تقديم مشروع منهج جديد في الأدب المقارن، استند إلى نظرية التناص، ولهذا سنحاول عرض هاتين المحاولتين وما اقترحته من مقومات وأسس لمنهج الدراسة المقاربة الجديد.

أولا: مشروع عز الدين المناصرة:

حاول د. عز الدين المناصرة في كتابه لمقدمة في نظرية المقارنة)، مناقشة رؤيتي المدرسة الفرنسية والأمريكية، وينتهي إلى أن تطور الأولى كان بطيئا نتيجة منهجها الإشتراطي الذي ينشغل بدراسة التاريخي الخارجي للنص، مبتعدا عن داخله وأن الثانية تعزل النص عن امتداداته الاجتماعية الممكنّة، وتعد دخله مركز الاشعاع. ثم يتساءل عنه الكل بعيدا عن الرؤية التوفيقية /التلفيقية، التي تجمع بين البعدين مبينا أن ما ينمض بدراسة العلاقة بين النصوص هو المنهج الشامل لقراءة شاملة في الأدب المقارن يدرس النصوص ويقرأ علاقاتها الداخلية وإشعاعاتها الاجتماعية بما يخدم إضاءة النصوص وإضاءة العلاقات بينها، وليس بما يخدم فمرة التمايز المقصود.[1] وبذلك يكون لكل المنهجين الجديد هو "تشجيع دراسة عملية الإبداع الأدبي مرتبطة بخصوصيتها النسبية في النص وبالمبدع ومرتبط بالخارج الذي ولد في النص وأهم من ذلك دراسة العلاقة الديالكتيكية في الكمية كلها".[2]

بالإضافة إلى هذا فقد استعان د. مناصرة بمفهوم التناص وأشكاله في دحض فكرة المؤثر الموجب) و(المثر السالب) ويعود المناصرة ليحدد أن النقد الأدبي الذي يهتم بداخل النص ويعترف

---

[1]- عز الدين المناصرة، مقدمة في نظرية المقارنة، ص 65.

[2]- المرجع نفسه، 65.

باجتماعيته هو الأقرب إلى منهج الأدب المقارن. ويقترح تسمية (نظرية مقارنة النصوص) كــحد فروع لنظرية المقارنة.[1]

ولذلك يقدم د. مناصرة دمجا جديدا للحقول المختلفة دون تناقض، يقوم على نظرية المثاقفة التي يصبح فيها الاستشراق وقراءة التفاعل الثقافي مع الآخر فرعين من فروعه.

والملاحظ في مشروعه عدم وجود خطوات تقنية واضحة أو مفاهيم إجرائية محددة وافتقاره لخصوصية الرؤى النقدية المتنوعة وهذا يتناقض تماما مع ما دعا إليه من ضرورة الحرص على استيعاب العلاقة الحديثة التي تربط بين الثنائية المعتمدة.

إن ما يحسب للدكتور المناصرة انطلاقه في دعوته هذه من "أفق انتظار" اتسوباكركية والتطور، وكان مما أسهم في شكل هذا الأفق دراسته المقارنة لما أسماه المؤثر المشترك، حينما تجاوز فكرة التقابل بين الثنائية الثابتة في المنهج الفرنسي، وتعني بها ثنائية (المؤثر والمتأثر) ليصل في هذه الدراسة إلى أن التشابه بين الشعر العالمي المقاوم (الشاعر البلغاري نيكولا فابنساروف أنموذجا) وبين شعر المقاومة الفلسطيني كان سبب وقوعهما تحت تأثير مؤثر مشترك، تجسد في شعر (مايا كوفسكي، ولوركا، وناظم حكمت).[2]

وفي كتابه (علم التناص المقارن، نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) محاولة أخرى لتجديد منهج المقارنة، هذا ما يدعوه الناصرة بـــ "ثقافة المقاومة الحديثة" والهدف من الكتاب الدعوة إلى نشوء (علم التناص المقارن) وجعله بديلا من الأدب المقارن، حيث تحقق فيه آلية التناص منهج المقارنة وعلى الرغم من متابعته وحرصه لتحولات هذا المصطلح إلا أنه لم يقدم رؤية متكاملة لمشروعه وعلى هذا لا نرى في محاولة د. عز الدين المناصرة رؤية منهجية واضحة، على الرغم من أنها

---

[1]- المرجع نفسه، ص 37.

[2]- ينظر: خديجة بن شرفي: الفلسطينيون والأدب المقارن، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2000، ص 131- 137.

جسدت محاولة جديدة في التنظير الرؤية عربية خاصة في منهج الأدب المقارن وشكلا من أشكال التلقي المغاير.

ثانيا: مشروع د. أحمد عبد العزيز

انطلق الباحث المقارن د. أحمد عبد العزيز في مشروعه التطويري من إدراك عميق بأبعاد الأزمة المنهجية التي تعاني منها الدراسة المقارنة، حيث مثل كتابه (نحو نظرية جديدة في الأدب المقارن) أهم عمل نقدي له كونه محاولة تنظيرية تجديدية في منهج الأدب المقارن استعرض الباحث أصول وأبعاد أزمة الأدب المقارن في مقدمة الجزء الأول من الكتاب ثم خصص الفصل الأول منه لمناقشة مشروعه الجديد، ثم وضع مفردات عنوان مشروعه المقترح لتطوير الدرس المقارن[1]، ويبدأ بمفهوم الشعرية Poetics مقتبسا تعريفه من تودوروف، فهو العلم التي يسعى إلى تحديد خصائص الخطاب الأدبي عبر البحث عن القوانين المجردة للأدب داخل الأدب ذاته، فلا يتوقف هدفه عند حدود قراءة النص، وليس موضوعه النص وإنما جامع النص Architecte.[2]

ثم ينتقل د. أحمد عبد العزيز إلى تحديد مفهوم التناص معتمدا في ذلك آراء جوليا كريستيفا، ومنه يرى ضرورة توظيف التناص في الدرس المقارن، ثم يتوقف عند الجزء الأخير من مشروعه وهو مصطلح (جامع النص) الذي اجترحه جيرار جينيت، مبينا أن الأخير أراده بديلا عن النظرية التاريخية القديمة للأنواع الأدبية، والدكتور هنا لا يرفض هذه النظرية ولا يقبلها بأجمعها فهو يجتاز موقفا بين التاريخ والبنية والمقارنة باتجاه ترسيخ مقارنة نصية يكون فيها للشعرية التاريخية دور مواز للشعرية البنيوية في تجليه الموقف المقارن.

[1]– ينظر: أحمد عبد العزيز، نحو نظرية جديدة للأدب المقارن، ج1، (البحث عن النظرية)، مكتبة الأنجلو المصري، القاهرة، 2000، ص 33

[2]– المرجع نفسه، ص 33.

يستشعر د. أحمد عبد العزيز بعد تعريفه بعنوان مشروعه صعوبة الوقوف أمام فكرة قديمة للأنواع، ومحاولة تطوير شعرية مقارنة، فيسجل جهود نقدة سابقة له في مضمار تطوير دراسة الأنواع في ميدان المقارنة ومنها دعوة ايتياميل إلى ذلك، وحمل كلود بيتو وأندريه في كتابهما (الأدب المقارن) هذه الدعوى إلى حيز التحقيق، حين حصر إمكانية وضع تعريف للأنواع الأدبية في الأدب المقارن، وميزا بين ما هو حقيقة، محدد تاريخيا من هذه الأنواع كالمأساة وغيرها، وبين الأنواع الافتراضية، التي لا تعرف عن طريق الشكل أو البنية كالأدب الرعوي والقصة الخيالية والسيرة الذاتية وغيرها، وبين نون ثالث هو (النافع) كالتاريخ والرواية والمسرح، وقد حدد المؤلفات موقف المقارنة من النوع الأدبي فالأخير بيئته عائلة بشرية ينمو فيه سلسلة لا نهائية من الأعمال الخاصة، ليست متطابقة ولا متخالفة ... ويتيح الصراع بين طغيان النوع المعترف به والابتكار الأصيل للمؤلف التمييز بين العمل الأصلي ورد الفعل الماسخ.[1]

في نهاية المشروع يحدد د. أحمد عبد العزيز مقومات نظرية الجديدة للأنواع في الأدب المقارن، تمثل ذلك في غياب البنية الثابتة للنوع الأدبي واعتماد مفهوم جامع للنص Architecte كدليل للنعو والتآزر بين الشعرية البنيوية والتاريخية وضم أنواع مضمونة ترتبط بالبنية الاجتماعية والثقافية، إضافة غلى النوع الجديد وهو (موت المؤلف).[2]

بعبارة أخيرة، نرى أن حدود المنهج في مشروع عبد العزيز لم تأتي واضحة جدا، فقد كان التأكيد في مقدمات الباحث التأسيسية على موضوع الدراسة المقارنة وتحديده، أكثر مـــن بيـــان المنهج وإثبات التحليل، ولكن ما يجدر الإشارة إليه، استيعاب الباحث للمنطلقات النقدية لمشروعه وطريقة تقديمه لهذا الأخير اتسمت بالاتزان يغاير ما رأيناه في محاولة الدكتور عز الدين مناصرة.

---

[1]- أحمد عبد العزيز، نحو نظرية جديدة في الأدب المقارن، ج1، ص 58.

[2]-ينظر، المرجع نفسه، ص 66.

3. المدرسة العربية في الأدب المقارن

3-1- بداية الدراسات المقارنة عند العرب:

مثلت سنوات النهضة العربية مرحلة مفصلية في تاريخ الثقافة الغربية، انتقل معها التفكير العربي من طور إلى آخر وبقاءه متأخرا عن حركة التفتح الثقافي الذي يشهده الغرب، وقد كانت جهودهم كبيرة تجسدت في دعواهم الصريحة إلى الانفتاح على نهضة الغرب[1]، إلا أن اعتمادهم على دراسة التشابهات والتوازي بين أدب الأمم الغربية وعدم تطرقهم إلى ظاهرة التأثير والتأثر، يدل على أنهم قد سبقوا الاتجاه النقدي الأمريكي بأكثر من نصف قرن، ومع ذلك فإن المقارنين الذين جاءوا من بعدهم لم يتبعوا رواد النهضة العربية في بداية التشابهات ضمن الأدب المقارن، وانساقوا وراء مبادئ الاتجاه الفرنسي أو الأمريكي.

وعليه يمكن القول إن حملة نابليون على مصر أحدثت رجة كبيرة في المنظومة الثقافية العربية التقليدية، اكتشف العرب أنهم أمام هجمة حضارية شرسة لا قبل لهم بها مما حدا بعض قادة الفكر إلى الاستعانة علميا وفكريا بهذا الغرب الزاحف واستعارة أسباب القوة والتمكن التي يمتلكها. في ظل هذا الانهيار الناتج عن اختلال موازين القوة وعن مركب النقص، لجأ بعض النقاد والأدباء والمفكرين العرب إلى مد الجسور الثقافية والفكرية مع أوربا والتشبع بأدبها وفنونها الواقية وعلمها لإنجاز نهضة عربية.

وقد لعب بعض الرواد دور الوساطة الحضارية بين الأدب العربي والآداب الأوروبية، نذكر منهم: "رفاعة رافع الطهطاوي" ويمكن اعتباره أول من انطلق إلى البحث المقارن بين الثقافات السوقية والغربية، وكان قد سافر مع البعثة الطلابية إلى فرنسا سنة 1826، ثم بعد عودته من مصر قام بترجمة عدة أعمال فرنسية على العربية، كما ألف كتابه المشهور "تلخيص الإبريز في تلخيص أخبار باريز" وهو مقارنة سطحية بين الثقافتين العربية والإفرنجية، وذلك بداية الثلث الثاني من

[1]- ينظر: أسعد وطفة: الجمود والتجديد في العقلية العربية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، رقم 54، دمشق 2004، ص 149.

القرن التاسع عشر، وكان الهدف من هذا تعريف القراءة ببلاغة الإفرنج، والإفادة منها في نهضة الأدب العربي.[1]

ولقد كتب يعقوب صروف مقالة في مجلة "المقتطف" بعنوان "الانتقاد" عام 1887م، قارن فيها بين النقد العربي والغربي، داعيا النقاد العرب إلى الاقتداء بالنقاد المشهورين في الغرب الذين تطورت عندهم الدراسات الأدبية[2]. وكذلك كتب نجيب الحداد مقالة في مجلة "البيان" سنة 1897 بعنوان "مقالة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي" واقتصر في دراسته على جوانب التشابه والاختلاف بين الشعر العربي والشعر الغربي[3]، وكان الغرض من وراء بحثه القارئ العربي بالثقافة الفرنسية التي بلغت درجة كبيرة من التقدم.

وفي سنة 1900م نشرت مجلة "المقتطف" سلسلة من الدراسات حول "بلاغة العرب والإفرنج". وهبت عبارة عن مناظرات بين أحمد كامل وخليل ثابت ونيكولا فياض، لقد قارن أحمد كامل بين أساليب البلاغة العربية والبلاغة الإفرنجية وكر على جوانب الاختلاف بينهما حيث خلص إلى أن بلاغة العرب أرقى من بلاغة الإفرنج.[4]

ومن رواد هذه الفترة أيضا خليل ثابت الذي تناول في دراساته اختلاف الأذواق الأدبية بين العرب والإفرنج مبينا أثر المتلقي في فهم النص الأدبي الأجنبي. وكان ذلك قبل ظهور نظرية التلقي عند الألمان، دون أن ننسى أديب إسحاق الذي ألف كتابا بعنوان "الأسلوب وظاهرة البديع"، وأحمد فارس الشدياق الذي ألف عدة كتب في مجال المقارنة بعد عودته من رحلة طويلة في ربوع أوربا، ولعل من أهم كتبه "مقارنة بين المديح العربي والغربي".

---

[1]- محمد عباسة: المدرسة العربية في الأدب المقارن، مجلة حوليات التراث، العدد 17، جامعة مستغانم- الجزائر 2017، ص 10-11.

[2]- ينظر: يعقوب صروف: الانتقاد، مجلة المقتطف، ج3، السنة 12 ديسمبر 1887، ص 162-170.

[3]- ينظر: نجيب حداد: مقابلة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي، مجلة البيان سنة 1897، العدد 02، سنة 1984، ص 257-271.

[4]- أحمد كامل: بلاغة العرب والافرنج، مجلة المقتطف، مج 24، ج3، 1900، ص 38.

أما في أوائل القرن العشرين وبعد الانفتاح نحو الغرب ازدهرت حركة الترجمة والاقتباس وظهرت دراسات في هذا الحقل المعرفي الأدبي، وقد تناول سعيد الخوري الشرنوبي التشابه والاختلاف بين كل من "البيان العربي والبيات الإفرنجي"، دون التطرق إلى التأثير والتأثر في مقالة بعنوان "البيان العربي والبيان الإفرنجي" نشرت في مجلة "المقتطف" عام 1902م، وكان هدفه من خلال هذه المقارنة إظهار محاسن وعيوب البيان العربي والإفرنجي ومعرفة القوي من الضعيف.[1]

وكان أول من تناول ظاهرة التأثير والتأثر إلى جانب التشابه والتوازي بين عدد من النماذج الأدبية المختلفة، هو روحي الخالدي في كتابه "تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هيجو" الذي صدر لأول مرة هام 1904، ومن خلال عنوان الكتاب يكون الخالدي أول من استخدم مصطلح "علم الأدب"، فقد تناول في كتابه التشابه بين الشعر الإفرنجي والشعر العربي السابقة، كما تناول أثر الشعر الأندلسي في بعض أشكاله ومضامينه في شعر التروبادور الجنوبيين (Troubadours) والتروفير الشماليين (Trouvères) وتأثر قصص الإفرنج بقصص عربية في العصور الوسطى، معتمدا على الصلات التاريخية بين الآداب في بحثه.[2]

أما في سنة 1904م، ترجم سليمان البستاني "إلياذة" هوميزوس(Homére)، تطرق في مقدمته إلى حياة هيموريس وشعره والأدب اليوناني والأوروبي، كما تناول أيضا أوجه التشابه والاختلاف بين الأدب العربي والأدب اليوناني، وقارن بين أنواع الشعر عند العرب والإفرنج، كما فرق بين السرقة والتأثر.[3]

إن الدراسات الأدبية المقارنة التي ظهرت منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف الثلاثينات من القرن العشرين عند العرب، كانت في مجملها دراسات تطبيقية و لم تهتم بمناقشة نظريات الغربيين في هذا الحقل المعرفي أو التعريف بمصطلح "الأدب المقارن"، فالهدف الرئيسي منها

---

[1]- سعيد الخوري الشنوبي: البيان العربي والبيان الافرنجي، مجلة المقتطف، مج 27، ج4، أبريل 1902، ص 370.

[2]- روحي الخالدي: تاريخ علوم الأدب عند العرب والافرنج وفيكتور هيقو، ط4، دمشق 1984، ص 125.

[3]- هوميروس: الإلياذة، تر: سليمان البستاني، دار الهلال، مصر 1904.

كان الاطلاع على ثقافة الغرب والدعوة إلى الإفادة من مناهجه النقدية الحديثة من أجل التحديد في الأدب العربي.

أما مصطلح الأدب المقارن فقد ظهر أول مرة عام 1936، عند خليل هنداوي وكــذلك فخري أبو السعود، في مقالات لها في مجلة "الرسالة"، وهي ترجمة حرفية عن المصطلح الغربي، وقد نشر "خليل هنداوي" في مجلة "الرسالة" سنة 1936 دراسة حول تلخيص أبي الوليد ابن رشــد لكتاب أرسطو "فن الشعر"، ذكر فيها مصطلح الأدب المقارن، ذكر فيها المصطلح بالعربية والغربية **(Littérature comparé)** وقد عاد خليل الهنداوي الأدباء العرب إلى الانفتاح على الآداب الأجنبية والاقتداء بفيلسوف قرطبة عندما لخص كتاب "فن الشعر" لأرسطو، وذلك من أجل نهضة الأدب العربي، وهو يري أن ابن رشد لم يقم بهذا التلخيص إلا من أجل الإفادة منه وتعريف القارئ العربي ببلاغة اليونان.[1]

3-2- التأليف المنهجي في الأدب المقارن:

وفيما يخص التأليف المنهجي في الأدب المقارن، فقد صدر كتاب "مــن الأدب المقــارن" لنجيب لعقيقي عام 1948، وفي عام 1949 ظهر كتاب "فن الأدب المقــارن" لعبــد الــرزاق حميدة، الذي قارن فيه بين رسالة الغفران وللمعري والكوميديا الإلهية لدانتي، وفي ســنة 1951 أصدر الدكتور إبراهيم سلامه كتابا بعنوان "تيارات أدبية" بين الشرق والغرب، خطة ودراسة في الأدب المقارن.[2]

ظلت هذه الدراسات سطحية في سنوات الأربعينيات، إلى أن تطور التــأليف في الأدب العالي المقارن في سنوات الخمسينيات على يد جماعة من الباحثين العرب الذي درسوا في الجامعات الغربية، فظهرت كتب في ميدان المقارنة الأدبية بفضل ترجمات عدة أعمال من الآداب الغربية إلى العربية.

---

[1]- خليل هنداوي: انشغال العرب بالأدب المقارن، مجلة الرسالة، العدد 153، 08 يونيو 1936، ص 938.

[2]- ينظر: محمد عباسة: المدرسة العربية في الأدب المقارن، ص 15.

أما في الثمانينات، وبعد ظهور اتجاهات أخرى في الأدب المقارن ظهر جيل جديد من المقارنين العرب وسميت هذه الفترة بمرحلة النضج والازدهار فقد تناولوا الدراسات المقارنة الأكاديمية مع مراعاة النسق الأدبي العربي، وبالإضافة إلى الكتب، تخصص بعض طلاب الدراسات العليا في الأدب المقارن وأنجزوا مذكرات والأطروحات في هذا المجال كان جلها حول ظاهرة التأثير والتأثر بين الآداب الأوروبية والأدب العربي، ومع ذلك فإن جل الدراسات العربية المقارنة التي صدرت في العقدين الآخرين من القرن العشرين جاءت تطبيقية بحتة و لم يتطرق أحد إلى ملامح الاتجاه العربي في الأدب المقارن وفق السياق والثقافة العربية إلا في إشارة عابرة.[1]

ومن المقارنين البارزين في الثمانينات، الدكتور الطاهر أحمد مكي الذي أصدر عدة كتب، والدكتور داود سلوم الذي كتب هو أيضا عدة دراسات في هذا المجال، ومنهم أيضا، الدكتور مناف منصور الذي أصدر كتابا بعنوان "مدخل إلى الأدب المقارن" تناول فيه خصائص المدرسة الأمريكية والغربية في الأدب المقارن. والدكتور عز الدين المناصرة الذي ألف كتابا بعنوان: "المثاقفة والنقد المقارن- متطور الأشكال".[2]

3-3- الأدب المقارن في الجزائر:

لقد تأسست جامعة الجزائر سنة 1909، غير أن الدراسات المقارنة بدأت قبل هذا التاريخ، وكانت "المجلة الإفريقية" «Revue Africaine»التي تأسست سنة 1856م أهم منبر الذي من خلاله نشر الأوروبيون دراساتهم في مختلف مجالات التراث.

كان تدريس الأدب المقارن بجامعة الجزائر منذ بداية العقد الثاني من القرن العشرين ويعد الدكتور محمد بن شنب من الأساتذة الجزائريين الأوائل الذي انتسبوا إلى الجامعة، فقد ساهموا بمقالات حول التراث العربي الإسلامي في "دائرة المعارف الإسلامية" ومن بين الدراسات الأدبية

[1]- ينظر: محمد عباسة: المدرسة العربية في الأدب المقارن، ص 17-18.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

المقارنة التي قام بها، مقال بعنوان "المصادر الإسلامية للكوميديا الإلهية" سنة 1919 ونشر في المجلة الإفريقية.[1]

في سنة 1967 أنشأت كلية الآداب بجامعة الجزائر العاصمة "الدفاتر الجزائرية" للأدب المقارن «Cahiers Algérien de Littérature comparé»وهي مجلة تصدر باللغة الغربية وكان يديرها جمال الدين بن شيخ، وفيما يخص منهج الدراسة فلم يتخلص من التبعية الغربية كون أصحاب الاختصاص جلهم من الفرنسيين، و لم تدرس هذه المادة بالعربية إلا في بداية السبعينات على يد بعض الأساتذة الجزائريين بعد إتمام دراستهم، بالإضافة إلى المشارقة المتعاونين وعلى رأسهم الدكتور الطاهر أحمد مكي. ومن هنا بدأ التنوع في الاتجاهات يطرأ على مناهج الدراسة.[2]

حاول أبو العيد دودو تطبيق الاتجاه الألماني في الدراسات الأدبية المقارنة، فراح يبحث في أدب الرحالة والمستشرقين، فانشغل على صورة الجزائر عند الرحالة الألماني، ومن كتبه "الجزائريين مؤلفات الرحالين الألمان"، وقام بترجمة عدة أعمال من الألمانية إلى العربية، وأهمها: الحمار الذهبي «L'âne D'or» للأديب الجزائري أبو ليوس المداورشي الذي ألفه في منتصف القرن الثاني للميلاد باللغة اللاتينية.[3]

أما الدكتور عبد المجيد حنون، الأستاذ بجامعة عنابة، فهو أيضا اختص في الصوراتية ومن كتبه "صورة الفرنسي في الرواية المغاربية" وللدكتور عبد المجيد حنون الفضل في عقد "الملتقى الدولي الأول حول الأدب المقارن عند العرب" في عنابة سنة 1983م، وقد شارك فيه أسماء لامعة في حقل الدراسات الأدبية المقارنة عربية وأوروبية وأفريقية

والجدير بالذكر الدكتور محمد عباسة الذي كان اتصاله بالأدب المقارن منذ المرحلة الأولى من الدراسات العليا، عندما قدم بحثا بعنوان "أثر الموشحات في شعر التروبادور" سنة 1982، وفي

---

[1]- ينظر: محمد بن شنب: المجلة الإفريقية، عدد 06، الجزائر 1919، ص 483-493.

[2]- الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، ط1، القاهرة 987، ص 192-193.

[3]- ينظر: محمد عباسة: المدرسة العربية في الأدب المقارن، ص 20.

السنة الموالية قم رسالة ماجستير بعنوان "اثر الشعر الأندلسي في شعر التروبادور منذ نشأته حتى القرن الثالث عشر ميلادي"، وذلك بجامعة بغداد، وبعدها قدم أطروحة الدكتوراه بعنوان "أثر الشعر المقطعي الأندلسي في الشعر الأوكيستاني" بالجامعة المركزية بالجزائر العاصمة، وبعدها بدأ بنشر دراسات باللغة العربية والفرنسية بمجلات جزائرية وعربية وأوروبية، تتناول في معظمها علاقة الحضارة العربية الأندلسية بالحضارة الغربية في القرون الوسطى وعلى الخصوص بلاد الإفرنج، وتتمثل في الشعر شكلا ومضمونا، وعوامل التأثير، والفلسفة والنصوص والترجمة وغيرها.

ظلت الدراسات التي سبق ذكرها سطحية إلى أن تطور التأليف في الأدب العربي المقارن في سنوات الخمسينيات على يد جماعة من الباحثين العربي الذين درسوا في الجامعات الغربية، فظهرت كتب في ميدان المقارنة الأدبية بفضل ترجمات عدة أعمال من الآداب الغربية إلى العربية، وهذا ما سوف نتطرق إليه في هذا الفصل.

خاتمة

وفي الختام، نحمد الله تعالى الذي وفقنا في تقديم هذا البحث، وها نحن نخط بأقلامنا الخطوة الأخيرة بعد رحلة ممتعة تستحق العناء والتعب، وما هذا الجهد إلا نقطة في بحر العلم وجهد العلماء الذين سبقونا في البحث، ولكن يكفينا شرف المحاولة ففي نهاية الأمر نحن بشر نخطئ ونصب، فغن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان وإن وفقنا فمن الله عز وجل.

في هذه الدراسة محاولة متواضعة لإيضاح معنى الأدب المقارن عند كل من المدرسة الفرنسية والأمريكية والسلافية، وما لهم من خصائص ومزايا، كما سعت إلى معاينة المستوى التطبيقي في تلقي الباحثين المقارنين العرب لنظرية الأدب المقارن، وعليه توصلنا في نهاية المطاف إلى مجموعة من النتائج هي:

- إن نشأة الأدب المقارن في أوربا وخارجها، وتطوره كانت وثيقة الصلة بالاتجاهات والمذاهب الفكرية التي أمدته بأسسه النظرية وتوجهاته التطبيقية، فاتسعت مساحته أكثر ليستوعب كل الأفكار والاتجاهات الحديثة والمعاصرة.
- انتقال الأدب المقارن إلى البلاد العربية، حيث حظى باهتمام اتسم الاعجاب به والتهافت عليه، دون أن يتمكن العرب من حيز التبعية إلى الغرب الذي كثيرا ما طبع دراساتنا المعاصرة.
- ازدهار الدراسات عند العرب وتنوعها ولعل أهمها دراسة سعيد علوش "مكونات الأدب المقارن في الوطن العربي" ومحمد غنيمى هلال "دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي"، كان لهم الفضل الكبير في التعريف بعلم الأدب المقارن في الوطن العربية تحديد اتجاهاته.
- شكل أفق التلقي الأول الذي أسمته الدراسة بالتلقي العربي المطابق لنظرية الأدب المقارن متمثلا بالممارسات النقدية التي عمدت إلى تطبيق فعل المقارنة دون وعي كبير وواضح بإطارها، وهذا النمط من التلقي لم يكن مكرسا في مجال الأدب فقط بل كان فعلا جماعيا اتخذ من قبل العرب القائلون باعتماد تجربة الغرب في صنع الحداثة والتغيير في الثقافة.

- إهدار التلقي العربي المطابق لمناهج مدارس الأدب المقارن، خصوصيته الثقافية حينما عمد في معظمه إلى انتهاج نمط واحد متواتر من التعامل مع خطاب المقارنة الوافد، ابتدأ بمضاعفة قيمة الريادة النظرية لنص د غنيمى هلال المعنون "الأدب المقارن" واتخاذه أنموذجا تمثلت خطواته معظم الكتب التي تليه، وقد تكرر الأمر بصورة أقل تطابقا مع الأصل الوافد في تلقي المقارنين العرب لرؤيته المدرسة الأمريكية والسلافية وقد جسد تلقيها شكلا من أشكال الرغبة في الخروج عن هيمنة الرؤية الفرنسية على الدراسات المقارنة.
- الخروج عن نمطية الدراسات المقارنة السائدة والعمل على تشكيل رؤية عربية خاصة في الأدب المقارن وهو ما رأى فيه البحث انكسار النموذج.

لا تدعي هذه الدراسة أننا توصلنا إلى حل معظلة التلقي العربي فهذه مهمة لا تقع على فرد مهما درجته ومستواه، وإنما هي مسؤولية جماعية تقع على كاهل كل الباحثين، ولذلك علينا ان نوجه جهودنا وجهة صحيحة، ونحن الأن نترك الباب مفتوح لإكمال هذا البحث وتقديم الأفكار الجديدة وذلك لكي نعمل على تطوير هذه الدراسة.

نتوجه إلى الله تعالى بالدعاء على توفيقنا في تقديم هذا البحث وعلى حسن قراءتكم ومتابعتكم وشكركم لسعة صدركم ونرجوا أن ينال إعجابكم.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

قائمة المصادر:

1. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تعذيب اللغة، مج 07، (باب القاف واللام)، تج: أحمد عبد الرحمان مخيمر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
2. بول فان تيغم: الأدب المقارن، دار الفكر العربي، د.ت.
3. جمال الدين أبو الفضل محمد بن منظور: لسان العرب، ج8، مادة (ق)، تج: عامر أحمد حيدر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.
4. خليل هنداوي: انشغال العرب بالأدب المقارن، مجلة الرسالة، العدد 153، 08 يونيو 1936
5. روبت هولب: نظرية التلقي، مقدمة نقدية: تر: عز الدين اسماعيل، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2000.
6. روبرت سي هولب: نظرية الاستقبال، مقدمة نقدية، تر: رعد عبد الجليل جواد، د.ط، دار الحواز للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1992
7. رينيه ويليك: مفاهيم نقدية، تر: جابر عصفور سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت،.
8. غنيمي هلال: دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط).
9. كلود بيشو: اندرية روسو، الأدب المقارن، تر: رجاء عبد المنعم جبر، ط1، دار العروبة، الكويت، 1980.
10. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، مطبعة مخيمر، القاهرة، 1953.
11. نعمات أحمد فؤاد: الأدب المازيبي، مطبعة دار الهنا 1954.
12. هوميروس: الإلياذة، تر: سليمان البستاني، دار الهلال، مصر 1904

قائمة المراجع:

1. أحمد أبو حسن: في المناهج النقدية المعاصرة، ط1، مكتبة دار الأمات للنشر والتوزيع، الرباط، 2004.
2. أحمد زلط : قضايا واتجاهات الأدب المقارن، ط1، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، 2008.
3. أحمد عبد العزيز، نحو نظرية جديدة للأدب المقارن، ج1، (البحث عن النظرية)، مكتبة الأنجلو المصري، القاهرة، 2000.
4. أحمد كامل: بلاغة العرب والافرنج، مجلة المقتطف، مج 24، ج3، 1900.
5. أحمد محمد علي منظوم: في الأدب المقارن، نحو تأصيل مدرسة عربية في المقارنة، مكتبة الآداب، ط2، القاهرة 2008.
6. أسعد وطفة: الجمود والتجديد في العقلية العربية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، رقم 54، دمشق 2004.
7. ألكسندر ديما: مبادئ علم الأدب المقارن، تر: محمد يونس، مر: عباس خلف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1987
8. بشرى موسى صالح: نظرية التلقي، أصول وتطبيقات، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، بيروت- لبنان، 2001.
9. جميل نصيف التكريتي: الأدب المقارن، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد 2005
10. حفناوي بعلي: النقد الثقافي المقارن في الخطاب الأردني الفلسطيني : ذاكرة المستقبل وأفاق العالمية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، جدارا للكتاب العالمي، ط1، عمان- الأردن 2008، ص 125-126.

11. خديجة بن شرفي: الفلسطينيون والأدب المقارن، الهيئة العامة لقصـــور الثقافـــة، مصر، 2000.

12. خليل الشيخ: دوائر المقارنة- دراسات نقدية في العلاقة بين الـــذات والآخـــر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 2000.

13. روحي الخالدي: تاريخ علوم الأدب عند العرب والافرنج وفيكتور هيقو، ط4، دمشق 1984.

14. رينيه ويلك: مفاهيم نقدية: تر: محمد عصفور، المجلس الأعلى للثقافة والفنـــون والآداب، سلسلة علم المعرفة، رقم 110، الكويت 1987.

15. سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، المركز الثقافي العربي، ط1، 1987، ص 210-211.

16. سعيد علوش: مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، الشركة العالمية للكتاب، ط1، الدار البيضاء، بيروت 1987.

17. سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، ط1، دار الأفـــاق العربية، مدينة نصر، 2001.

18. طاهر أحمد مكي : الأدب المقارن مناهجه وأصوله، دار المعارف ط1 رمضان 1407ه مايو 1978م.

19. عبد الحميد إبراهيم: الأدب المقارن من منظور الأدب العربي- مقدمة وتطبيـــق، دار الشروق، ط1، القاهرة 1997.

20. عبده عبود: الأدب المقارن- مدخل نظري ودراسات تطبيقية، جامعة البعـــث، مديرية الكتب والمطبوعات، 1991-1992.

21.علي شلش: الأدب المقارن بين التجربتين الأمريكيــة والعربيــة، دار الفيصــل الثقافية، الرياض، ط1، 1995.

22.علي مجيد داود البديري: الأدب العربي المقارن في ظل جمالية التلقي (الدراسات النظرية المقارنة)- أنموذج.

23.فؤاد مرعي: في نظرية الأدب المقارن، مجلة المعرفة السورية، ع 295، أيلــول 1986.

24.كمال عرفات نبهان: العلاقات بين النصوص في التأليف العربي- دراسة علــى تفارع النصوص العربية، العربي للنسر والتوزيع، القاهرة 1993.

25.ماريس فرانسوا: الأدب المقارن، ط6، بارس 1978.

26. محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص جماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، دراسة مقارنة، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1996.

27.نجيب العقيقي: من الأدب المقارن، ج1، القاهرة، 1975م.

28.هاسكل بلوك: مفهوم التأثير في الأدب المقارن- دراسات في الأدب المقارن، تر: محمد الخز علي، الأردن 1995.

المحاضرات:

1) برابح محوي وحاتم كعب: محاضرات وتطبيقات في مادة الأدب المقارن، مستوى ثالثة ليسانس تخصص أدب فوج 1

2) برهان أبو عسلي : محاضرات في الأدب المقارن، دمشق منشورات جامعة دمشق ج8.

3) بوعزيزة علي: محاضرات أدب مقارن، سنة أولى ماستر 2020

4) محاضرات في الأدب المقارن : مصطفى فاروق عبد العليم مدرس الأدب والنقد بالكلية، ط1 2009م، كلية الدراسات الإسلامية والعربية

المذكرات والأطروحات:

1. مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص أدب مقارن، الأدب المقارن بين مفهومين الفرنسي والأمريكي 2017.2016 مستغانم.

المجلات:

5) أصفر علي، محمد زبير أكمل : الأدب المقارن مفهومه ومدارسه ومجالات البحث فيه، مجلة

6) ماجد حمودة : الأدب المقارن مفهومه ومدارسه ومجالات البحث فيه، مجلة.

7) سعيد الخوري الشنوبي: البيان العربي والبيان الافرنجي، مجلة المقتطف، مج 27، ج4، أبريل 1902.

8) محمد عباسة: المدرسة العربية في الأدب المقارن، مجلة حوليات التراث، العدد 17، جامعة مستغانم- الجزائر 2017.

9) مجلة عالم الفكر الكويت، مج11، ع3، أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر 1980

10) محمد بن شنب: المجلة الإفريقية، عدد 06، الجزائر 1919.

11) نجيب حداد: مقابلة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي، مجلة البيان سنة 1897، العدد 02، سنة 1984،

12) يعقوب صروف: الانتقاد، مجلة المقتطف، ج3، السنة 12 ديسمبر 1887

فهرس المحتوى

الفصل الثاني:

تلقي العرب الأدب المقارن

ملخص:

لا شك أن نظرية الأدب المقارن نظرية حديثة، نشأت في الحض الأوروبي في القرن 18، تشتمل على جملة البحوث الأدبية والعلاقات الدولية التي تدرس هجرة الأفكار، والصلات المختلفة بين الآداب والفنون الأخرى، والجدير بالذكر المدارس الخاصة به فلكل واحدة سماتها وخصائصها أهمهم المدرسة الفرنسية فهي تنظر له على أنه العلم الذي يقوم بتدريس التأثيرات المختلفة بين الآداب وبعضها وذلك من خلال المنهجية في العلم، ثم تليها المدرسة الأميريكية وهي لا تقل أهمية عن الأخرى ترى أن الجوهر الخاص به هو الاقتراب من معرفة وفهم البنية الداخلية، وأخيرا المدرسة السلافية تشرط على وجوب بناء تجربة اجتماعية محددة بحيث يكون الأدب المقارن عاكسا للواقع الاجتماعي، لقد كان لظهور هذه الاتجاهات أثر كبير في شكل واقعه التلقي العربي لنظرية الأدب المقارن فنشأته لم تكن نتيجة لحركة فكرية أو تخطيط علمي، تجلى هذا التلقي تحت نمطين هما: التلقي المطابق والتلقي المغاير. درس الأول التلقي المطابق لرؤية المدرسة الفرنسية، وقد عد المقارنون عمل الرائد غنيمى هلال "قراءة عربية نموذجية للمنهج التاريخي الفرنسي في الأدب المقارن، وهذا ما هي لتشكل "نموذجا إرشاديا" الذي يحرص في تحققه على أن يكون مطابقا للنص الأصلي المقروء أما التلقي المغاير كان نتيجة شعور بعض المقارنين العرب بضرورة تطوير منهج المقارنة والدعوة إلى تأسيس نظرية عربية حديثة.

Summary:

There is no doubt that the theory of comparative literature is a modern theory, which originated in the European exhortation in the 18th century. It includes a body of literary research and international relations that studies the migration of ideas, and the various connections between literature and other arts. It is the science that teaches the different influences between literature and some of them through the methodology in science, then followed by the American school, which is no less important than the other, seeing that its essence is to approach knowledge and understanding of the internal structure, and finally the Slavic school stipulates the necessity of building an experience Specific social so that comparative literature reflects social reality. The emergence of these trends had a significant impact on the reality of the Arab reception of the theory of comparative literature. Its origin was not the result of an intellectual movement or scientific planning. This reception was manifested under two patterns: the corresponding reception and the contrasting reception. The first lesson was the reception that corresponds to the vision of the French school, and the comparators considered the work of Major Ghonimi Hilal “a model Arabic reading of the French historical curriculum in comparative literature, and this is what constitutes a “guiding model” which, in its realization, is keen to be identical to the original read text. The feeling of some Arab comparators of the necessity of developing the comparative method and calling for the establishment of a modern Arab theory.